



عناصر الموضوع

117	مفهوم النصارى
117	النصارى في الاستعمال القرآني
114	الألفاظ ذات الصلة
171	اقتران النصارى باليهود في القرآن
177	عقيدة النصارى
171	دعاوى النصارى وأقوالهم الباطلة
187	النصارى قبل الإسلام
187	النصارى بعد الإسلام
178	سماحة الإسلام مع النصاري

مفهوم النصاري

أولًا: المعنى اللغوي:

مفردها نصراني، يقال: نصرته على عدوه ونصرته منه نصرًا:أعنته وقويته، والفاعل ناصر ونصير وجمعه أنصار، والنصرة بالضم اسم منه، وتناصر القوم مناصرة:نصر بعضهم بعضًا، وانتصرت من زيد انتقمت منه، واستنصرته طلبت نصرته، ونصارى:هم من يتبع دين المسيح، فيقال:رجلٌ نصراني، ثم أطلق النصراني على كل من تعبد بهذا الدين، وربما قيل:نصران ونصرانة، ونصرى وناصرة ونصورية:قرية بالشام، والنصارى منسوبون إليها، والتنصر:الدخول في النصرانية، ونصره:جعله نصرانيًا(۱).

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

لا يخرج معناه الاصطلاحي عن معناه اللغوي، فالمقصود بالنصاري اصطلاحًا: هم أمة المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته عليه الصلاة والسلام (٢).

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «والنصارى قيل: سموا بذلك لقوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّنَا مَا اللهُ ا

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْمُهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَدَرَىٰ ﴾ [البقرة: ١١٣] ١٠).

⁽٣) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٨٠٩.



⁽۱) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٥/ ٢١١، المصباح المنير، الفيومي، ٢/ ٢٠٠، معجم اللغة العربية المعاصرة، الدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر، ٣/ ٢٢٢، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢/ ٩٢٥.

⁽٢) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ١/٢٦٦.

النصاري في الاستعمال القرآني

وردت مادة (نصر) في القرآن الكريم(١٥٨) مرة (١)، يخص موضوع البحث منها (١٥) مرة.

والصيغ التي وردت، هي:

المثال	عدد المرات	الصيغة
﴿ مَا كَانَ إِنَّ هِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ﴾ [آل عمران: ٢٧]	١	مفرد
﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَدَرَى ٱلْمَسِيحُ أَبْثُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠]	١٤	جمع

النصارى هم أتباع عيسى عليه السلام، قيل: سموا بذلك لنصرتهم له وتناصرهم فيما بينهم، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمُ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنَ أَنصَارِى إِلَى اللَّهِ قَالَ الْمُوَارِيُّونَ فَعَنُ أَنصَارُ اللَّهِ ﴾ [الصف:١٤].

وهذا يخص المؤمنين منهم في أول الأمر، ثم أطلق عليهم كلهم على وجه التغليب(٢).

⁽۱) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٧٠٧-٤٠٧، المعجم المفهرس الشامل، عبد الله جلغوم، باب النون ص١٣٢٥ -١٣٢٨.

⁽٢) انظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، ٥/٦٩-٧٠، عمدة الحفاظ، السمين الحلبي، ٤/١٨٣-

الألفاظ ذات الصلة

١ أهل الكتاب:

أهل الكتاب لغة:

أهل الرجل عشيرته وذوو قرباه، وأهل المذهب: من يدين به، وأهل الإسلام: من يدين به، وأهل الأسلام: من يدين به، وأهل الأمر: ولاته، وأهل البيت: سكانه، وأهل الرجل: زوجه وأخص الناس به، وأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم: أزواجه وبناته وصهره (١١).

والكتاب: كتبه كتبًا وكتابًا أي: خطه، وهو ما يكتب فيه، والدواة والتوراة والصحيفة والفرض والحكم والقدر (٢).

ويراد به أيضًا الكتب السماوية، وحيثما ذكر في القرآن الكريم التركيب الإضافي ﴿أَمْلِ ٱلْكِنَابِ ﴾ فإنما أريد بالكتاب التوراة والإنجيل، وكذلك إذا ذكر التركيب الإسنادي ﴿أُوتُوا ٱلْكِنَابِ﴾ أو (آتيناه الكتاب)(٣).

وأهل الكتاب: «من يجتمعون حوله، والمراد اليهود والنصاري»(٤).

أهل الكتاب اصطلاحًا:

هم اليهود والنصارى، ومن دان دينهم بفرقهم المختلفة، ومن عدا هؤلاء من الكفار فليس من أهل الكتاب؛ بدليل قول الله تعالى: ﴿أَن تَقُولُواْ إِنَّمَا أُنزِلَ ٱلْكِنَبُ عَلَى طَآبِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَنفِلِينَ ﴾[الأنعام:١٥٦](٥).

قال الشهرستاني: «الخارجون عن الملة الحنيفية والشريعة الإسلامية، ممن يقول بشريعة وأحكام وحدود وأعلام، وهم قد انقسموا إلى من له كتاب محقق مثل التوراة والإنجيل، وعن هذا يخاطبهم التنزيل بأهل الكتاب، وإلى من له شبهة كتاب، مثل: المجوس»(٢).

⁽٦) الملل والنحَّل، الشهرستاني، ص٧٤٧.



⁽۱) انظر: لسان العرب، ۱۱/ ۲۸، القاموس المحيط، الفيروز آبادي ص٩٦٣، مقاييس اللغة، ابن فارس، ١٥٠/١.

⁽٢) القاموس المحيط، ص١٢٨.

⁽٣) انظر: المفردات، ١/ ٧٠١، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، ص٩٤٩ - ٩٤٥.

⁽٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٩٧.

⁽٥) انظر: المغنى، ابن قدامة، ٩/ ٣٢٩.

الصلة بين أهل الكتاب والنصارى:

ومن معاني اللغة والاصطلاح يمكن تعريف أهل الكتاب:بأنهم أهل الديانات التي لها كتاب سماوي من يهود وهم أهل التوراة، ونصارى وهم أهل الإنجيل، فإذًا النصارى بعض أهل الكتاب.

٢ الحواريون:

الحواريون لغة:

جمع حواري:أي صاحب وناصر ومؤيد، وحواري الرجل:خاصته، ومنه الزبير حواري النبي صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج الحواريون: «خلصان الأنبياء عليهم السلام - الله عليه وسلم وشاع استعماله في المخلصين للأنبياء عليهم الصلاة والسلام (٢).

وقيل:سمي الحواريون: «لبياض ثيابهم، ويطلق الحواري على الخالص، والخليل، والمخلص، والناصح، والخصيص والمجاهد، والمفضل، ومن يصحب الكبير، ومن يصلح لخلافة كبيرة »(٣).

الحواريون اصطلاحًا:

«هم صفوة الأنبياء الذي خلصوا وأخلصوا في التصديق بهم وفي نصرتهم»(٤). قال الراغب الأصفهاني «الحواريون أنصار عيسى عليه السلام »(٥).

الصلة بين الحواريون والنصارى:

الحواريون هم أصحاب عيسى ابن مريم-عليهما السلام-وأنصاره، كما جاءت تسميتهم في قوله تعالى: ﴿كُمَّا قَالَ عِيسَى أَبِّنُ مُرَّيمٌ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنَّ أَنصَارِيَّ إِلَىٰ اللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤].

٣ بنو إسرائيل:

إسرائيل اصطلاحًا:

لقب أطلق على يعقوب بن إسحاق عليهما السلام.

قال تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطُّعَامِ كَانَ حِلَّا لِّبَنِّ إِسْرَةِ مِلْ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَةِ مِلْ عَلَى نَفْسِهِ - ﴾ [آل

عمران:٩٣].

- (١) انظر: لسان العرب، ٤/٤٥٤، تاج العروس، الزبيدي، ١٠٣/١١.
 - (٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٣٢٨.
 - (٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٠٩/١.
 - (٤) مفاتيح الغيب، الرازي، ٨/ ٣٣٣.
 - (٥) انظر: المفردات، ص٨٠٩.

وبنو إسرائيل: ذرية يعقوب عليه السلام وكانوا اثني عشر سبطًا.

قال تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَو بِلَ كُمْ ءَاتَيْنَهُم مِّنْ ءَايَتِم بَيِّنَةٍ ﴾[البقرة: ٢١](١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما في كلمة إسرائيل:معناه: (عبدالله)، لأن إسرا بمعنى:عبد،

وإيل: اسم الله، أي: أنه مركب من كلمتين: إسرا، وإيل، كما يقولون: بيت إيل (٢٠).

الصلة بين بني إسرائيل والنصارى:

أن النصاري هم من بني إسرائيل ذرية يعقوب عليه السلام.



⁽۱) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٥١، معجم اللغة العربية المعاصرة، ١/ ٩١. (٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١/ ٤٥٠.

اقتران النصارى باليهود في القرآن

تحدث القرآن الكريم عن اليهود والنصارى في آيات عديدة، ومعظمها يقرن فيها اليهود مع النصارى على سبيل الخبر أو الذم أو الثناء أو غير ذلك، ويبدو أن هذا الاقتران له حكمة أو أسباب كثيرة، منها:

 أنهما أهل كتاب كما سماهم الله تعالى، وكتابهم الذي يجمعهم هو الكتاب المقدس التوراة الذي أنزل على موسى عليه السلام، وجميع بني إسرائيل مكلفون بأحكامه وشريعته، ثم الإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام مكملاً للتوراة.

انهم من بني إسرائيل ذرية يعقوب عليه السلام وبنيه، ومن المعلوم أن موسى عليه السلام هما عليه السلام هما من أبناء إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام، وكانت رسالة موسى وعيسى عليهما السلام إلى بني إسرائيل خاصة. قال تعالى في شأن موسى عليه السلام: في شأن موسى عليه السلام: في آلكِننَبُ وَجَعَلْنَهُ هُدَى لِبَنِيَ إِسْرائيلُ مُوسَى الْكِننَبُ وَجَعَلْنَهُ هُدَى لِبَنِيَ إِسْرائيلُ وَعَلَيْهُ هُدَى لَا لِبَنِيَ إِسْرَاءِيلَ أَلَا تَنْفِذُوا مِن دُونِي لِبَنِيَ إِسْراءِيلَ أَلَا تَنْفِذُوا مِن دُونِي لِبَنِيَ إِسْرَاءِيلَ أَلَا تَنْفِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴾ [الإسراء:٢]. وقال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَرَسُولًا عِن بَنِي إِسْرَاءِيلَ أَنِي قَدْ حِثْنَكُمْ بِكَايَة مِن دُولِي إِلَى بَنِيَ إِسْرَاءِيلَ أَنِي قَدْ حِثْنَكُمْ بِكَايَة مِن دُولِي وَيُحْمَلُ أَنِي مَدْ حِثْنَكُمْ بِكَايَة مِن دُولِي وَيُحْمَلُ أَنِي قَدْ حِثْنَكُمْ بِكَايَة مِن دُولِي وَيُحْمَلُ أَنِي قَدْ حِثْنَكُمْ بِكَايَة مِن دُولِي وَيُعْلَى أَنِي قَدْ حِثْنَكُمْ بِكَايَة مِن الْعَلِي وَيَعْلَى أَنِي قَدْ حِثْنَكُمْ مِنَ الْعَلِي وَيَعْلِ أَنِي قَدْ حِثْنَكُمْ مِنَ الْعَلِي وَيَعْلِ أَنِي قَدْ عَنْ عَلِيهِ السلام: وَيَعْلَى الْقِي قَدْ عِشْنَكُمْ مِنَ الْعَلِي وَيْعِينَ أَنِي قَدْ عَنْ عَلَيْ وَلَا تَعْلَى لَا أَنْ قَدْ عِشْنَكُمْ مِنَ الْعَلِي وَيْعَلِي الْقَالِي فَيْ الْعَلْمُ مِنْ وَلَا عَلَى الْعَلْمُ وَيَعْلَى الْمُولُولُونَا مُنْ وَلَا اللهُ اللهُ وَيْ الْعَلْمُ مِنَا اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اله

كَهَيْتَةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنْفُحُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيَّزًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[آل عمران:٤٩].

٣. اشتراكهم في بعض المعتقدات المنحرفة كنسبة الولد لله تعالى في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ الْمَسِيحُ الْيَهُودُ عُزَيْرُ الْمَسِيحُ الْيَهُودُ عُزَيْرُ الْمَسِيحُ الْيَهُو وَقَالَتِ النّصَدَرَى الْمَسِيحُ الْبَنْ اللّهِ وَقَالَتِ النّصِدَرَى الْمَسِيحُ الْبَنْ اللّهِ وَقَالَتِ النّصِدَرَى الْمَسِيحُ احبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله كما قال تعالى: ﴿ اَتَّفَ دُوا الله وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَكُمَ وَرُهُبَ الله وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيكمَ وَرَهُ الله وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيكمَ وَرَهُ الله وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيكمَ وَرَهَ الله وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيكمَ وَرَهِ الله وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيكمَ وَرَهِ الله وَالْمَسِيحَ الله وَمَا أَمِنُوا إِلّا لِيعَبُدُوا إِلَاهًا وَرَحِدُا لَا إِلَّهُ اللهِ وَالْمَسِيحَ الله وَمَا أَمِنُ الله وَالْمَسِيحَ الله وَمَا أَمِنُوا إِلّا لِيعَبُدُوا إِلَاهُا وَرَحِدُا لَا الله وَمَا أَلِهُ الله وَالْمَسِيحَ الله وَمَا أَمِنْ الله وَمَا أَلِهُ الله وَمَا أَلْمَ إِلَاهُ الله وَمَا أَلْمَالِهُ وَالْمَسِيحَ الله وَمَا الله وَمَا أَلْمَالِهُ الله وَمَا الله وَمَا الله وَمَا الله وَمَا الله وَالْمَسِيحَ الله وَمَا الله وَمِنْ الله وَمَا الله وَمَا الله وَالله وَمَا الله وَمَا الله وَمَا الله وَمَا الله وَمَا الله وَلَاهُ الله وَمَا الله وَمَا الله وَمَا الله وَمَا الله وَمَا الله وَمَا الله وَمِنْ الله وَمَا الله وَمَا الله وَمَا الله وَمِنْ الله وَمَا الله وَمَا الله وَمَا الله وَمَا الله وَمَا الله وَمَا الله وَاللّه وَاللّه وَمَا الله وَاللّه وَمَا الله وَمَا الله وَمَا الله وَمَا الله وَمَا الله وَلْمُ الله وَمَا الل

- اشتراك طائفة منهم في صفاتٍ ذكرها القرآن الكريم، منها:
- تتمانهم الحق مع العلم به، ومنه كتمان أوصاف النبي محمد صلى الله عليه وسلم واسمه في التوراة والإنجيل، مع علمهم التام بصحة ما جاء به، كما قال تعالى: ﴿ اللَّذِينَ اللَّهَ الْكِنْكِ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الل
- کفرهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعدم اتباعهم الحق وقبوله،
 کما في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ

عقيدة النصاري

أولًا: إلوهية عيسى ابن مريم وأمه عليهما السلام:

لا شك أن وحدانية الله تعالى هي أصل ديانة أهل الكتاب، وما من نبي أو رسول إلا كانت دعوته الأولى لقومه هي وحدانية الله تعالى وإفراده بالعبادة، إلا أن النصاري زعموا مع الله تعالى الشريك، حيث جعلوا من المسيح وأمه عليهما السلام آلهة تعبد من دون الله تعالى، ورغم أن هذه العقيدة لا أصل لها إلا في الديانات الوثنية السابقة لدين النصاري إلا أنهم ساروا على ما سار عليه أصحاب تلك الأديان الوثنية من قبلهم حين حرفوا وبدلوا وضيعوا أصول دينهم الصحيح واعتقدوا بألوهية المسيح وأمه عليهما السلام الذي جاء يدعوهم إلى وحدانية الله تعالى شأنه شأن الأنبياء والرسل عليهم السلام الذين من قبله وبعده. وكان منشأ هذه العقيدة في أول مجمع للنصاري سمى مجمع نيقية سنة ٣٢٥،(١) الذي أقر بألوهية المسيح عليه السلام وفرضت هذه العقيدة على الناس بقوة السيف والسلطان فأصبحت مسألة ألوهية المسيح عليه السلام بعد ذلك عقيدة

ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَارَىٰ حَتَّى تَنَّبِعَ مِلْتُهُمْ﴾

[البقرة: ١٢٠].

والمتأمل في القرآن الكريم يجد كثيرًا من الصفات المشتركة بين اليهود والنصاري.

⁽١) انظر: كتاب محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٢٢.

مترسخة عند النصارى إلى وقتنا الحاضر، واحتجوا بشبهات ونصوص من كتبهم المحرفة مثل صفات المسيح عليه السلام ومعجزاته وغير ذلك.

إلا أن القرآن الكريم رد على كل دعوة باطلة ادعتها النصارى في ألوهية المسيح وأمه عليهما السلام في أكثر من آية.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ اللَّهِ مِنْ قَالُواْ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ أَقُلْ فَمَن يَمْ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ أَقُلْ فَمَن يَمْ اللَّهُ مِن اللّهِ شَيْعًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْ الكَ الْمَسِيجَ ابْنَ مَرْيَهُمْ وَأُمْكُهُ، وَمَن فِي الْمَسْيَجَ ابْنَ مَرْيَهُمْ وَأُمْكُهُ، وَمَن فِي الْمَسْيَجَ ابْنَ مَرْيَهُمْ وَأُمْكُهُ، وَمَن فِي الْمَرْضِ جَيْمًا وَلِلّهِ مُلْكُ السّمَنونِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَعْلَقُ مَا يَشَاؤُ وَاللّهُ عَلَى وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَعْلَقُ مَا يَشَاؤُ وَاللّهُ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الله الله عَلَى المائدة: ١٧].

قال ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى مخبرًا وحاكمًا بكفر النصارى في ادعائهم في المسيح ابن مريم، وهو عبدٌ من عباد الله، وخلق من خلقه أنه هو الله، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا، ثم قال مخبرًا عن قدرته على الأشياء وكونها تحت قهره وسلطانه: وَمَن يُمَلِكُ مِنَ اللهِ شَيْعًا إِنَ أَرَادَ أَن يُهَلِكَ الْمَسِيحَ ابْرَبَ مَرْكِمَ وَأُمَكُهُ وَمَن فِي اللهِ عَن اللهِ عَن فلك وَمَن فِي اللهِ عَن اللهِ سَيْعًا إِنَ أَرَاد فلك وَمَن فِي اللهِ عَن فلك؟، ثم قال: ﴿وَلِللهِ يَعَلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ أي: لو أراد ذلك يقدر على صرفه عن ذلك؟، ثم قال: ﴿وَلِللهِ يَعَلَقُ مَا يَشَاءُ ﴾ أي: جميع الموجودات يَعَلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ أي: جميع الموجودات

ملكه وخلقه، وهو القادر على ما يشاء، لا يسأل عما يفعل، لقدرته وسلطانه، وعدله وعظمته، وهذا رد على النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة»(().

فالآية الكريمة تدل على بشرية المسيح وأمه عليهما السلام وتبين عجز المسيح ابن مريم وعدم قدرته دفع الهلاك عن نفسه ولا عن أمه عليهما السلام، والعجز ضد القدرة وهو ليس من صفات الإله.

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَدٌ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَنَبَىٰ إِسْرَهِ بِلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشَرِكَ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَنَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّلِمِينَ مِنْ أَنصَارِ اللهَ

[المائدة:٢٧].

فهذا نص صريح يبين أن عيسى عليه السلام ما دعا إلا إلى الوحدانية ومبينًا لهم عاقبة الشرك بالله تعالى.

يقول ابن كثير رحمة الله: «يقول تعالى حاكما بتكفير فرق النصارى، من الملكية (٢)

⁽١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/ ٦٨.

⁾ هم أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها، ومعظم الروم ملكانية حيث قالوا: إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته، ويعنون بالكلمة: أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس: أقنوم الحياة، فقال بعضهم: إن الكلمة مازجت جسد المسيح، كما يمازج الخمر أو الماء اللبن. انظر: الملل والنحل، للشهرستاني، ٢/٢٠.

واليعقوبية (١) والنسطورية (٢)، ممن قال منهم بأن المسيح هو الله، تعالى الله عن قولهم وتنزه وتقدس علوا كبيرا، هذا وقد تقدم إليهم المسيح بأنه عبد الله ورسوله، وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهد أن قال: ﴿قَالَ إِنِي عَبْدُ اللَّهِ عَالَى الْكِذَبُ وَمِعَلَى نِينًا اللهِ وريم: ٣٠].

ولم يقل: أنا الله، ولا ابن الله إلى أن قال: ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّ وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَطُّ مُسْتَقِيمٌ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ مِرَاكُ مُسْتَقِيمٌ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّلَّاللَّاللَّا الللّاللَّالَّالِمُواللَّالِلْلَّالِمُولِلَّا اللَّالَّالَّا اللَّالّا

قال الزمخشري رحمه الله: لم يفرق عيسى عليه الصلاة والسلام بينه وبينهم في أنه عبد مربوب كمثلهم، وهو احتجاج على النصارى إنه من يشرك بالله في عبادته، أو فيما هو مختص به من صفاته

(۱) هم أصحاب يعقوب: قالوا بالأقانيم الثلاثة أيضًا، إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحما ودما، فصار الإله هو المسيح. وهو الظاهر بجسده، بل هو هو. انظر: الملل والنحل، للشهرستاني، ۲۰/۲.

(۲) هم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه حيث قال: إن الله تعالى واحد، ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، ولا هي هو، واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام، لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية، ولا على طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة، وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/ ١٥٧.

أو أفعاله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين، أي حرمه دخولها ومنعه منه، كما يمنع المحرم من المحرم عليه، وَمَا لِلطَّلِلِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ من كلام الله، على أنهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما يقولون على عيسى عليه السلام، فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم هذا بل رده وأنكره، وإن كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره (٤).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَنْعِيسَى اَبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ التَّغِذُونِ وَأُتِى إِلَنهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَننَكَ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسُ لِي بِحَقّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَد عَلِمْتَهُ مِن نَمْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنّكَ أَنتَ عَلَيْمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنّكَ أَنتَ عَلَيْمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنّكَ أَنتَ عَلَيْمُ الْمَاعِنِ السَّا فِي نَفْسِكَ إِنّكَ أَنتَ عَلَيْمُ الْمَاعِنِ السَّالِي المائدة:١١٦].

قال الإمام الرازي رحمه الله: «أن الله تعالى لما سأل عيسى: أنك هل قلت كذا؟ لم يقل عيسى بأني قلت أو ما قلت، بل قال: ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، وهذا ليس بحق ينتج أنه ما يكون لي أن أقول هذا الكلام، ولما بين أنه ليس له أن يقول هذا الكلام شرع في بيان أنه هل وقع هذا القول منه أم لا، فلم يقل بأني ما قلت هذا الكلام لأن هذا يجري مجرى دعوى الطهارة والنزاهة، والمقام مقام الخضوع والتواضع، ولم يقل بأني قلته بل، فوض ذلك إلى علمه ولم يقل بأني قلته بل، فوض ذلك إلى علمه

⁽٤) انظر: الكشاف، الزمخشري، ١/٦٦٣.

المحيط بالكل، فقال: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُ، فَقَدُ عَلِمَتَهُ، ﴾ وهذا مبالغة في الأدب وفي إظهار الذل والمسكنة في حضرة الجلال وتفويض الأمور بالكلية إلى الحق سبحانه (١).

ويقول ابن كثير رحمه الله: «وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع على رؤوس الأشهاد، هكذا قاله قتادة وغيره، واستدل قتادة على ذلك بقوله تعالى: ﴿ قَالَ اللَّهُ هَلَا يَوْمُ يَغَمُ الصَّادِقِينَ صِدْفُهُمْ ﴾ [المائدة:١٩]» (٢).

قال ابن عباس رضي الله عنه: «هذا القول يكون من الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، ليرى الكفار تبرئة عيسى مما نسبوه إليه، ويعلمون أنهم كانوا على باطل» (٣).

قال القشيري رحمه الله: «المراد من هذا السؤال إظهار براءة ساحته عما نسب إليه من الدعاء إلى القول بالتثليث، فهذا ليس خطاب تعنيف بل هو سؤال تشريف» (٤).

ومن خلال الآيات السابقة وأقوال بعض أهل التفسير فيها يتبين أن القرآن الكريم أثبت كفر من اعتقد بألوهية المسيح وأمه عليهما السلام، وبين براءتهما مما نسب إليهما زورًا وكذبًا وافتراء، وبين أن دعوة عيسى عليه السلام لقومه كانت دعوة خالصة إلى عبادة الله تعالى ونبذ الشركاء وأنه حذر قومه من

الوقوع بالشرك مع تأكيد بشريته وبشرية أمه عليهما السلام في العجز عن دفع الهلاك عن أنفسهما.

ويذكر ابن هشام في سيرته عن وفد نجران الذين جاؤوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في شأن عيسى عليه السلام ما خلاصته: (فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو حارثة بن علقمة أسقفهم، وعبد المسيح أميرهم، والسيد الأيهم عالمهم، وكانوا على دين ملك الروم مع اختلاف أمرهم، يقولون عن عيسى: هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة، فلما كلمه الحبران، قال لهما رسول الله: أسلما، قالا: قد أسلمنا قبلك، قال: كذبتما، يمنعكم من الإسلام ادعاؤكما الخنزير) (٥٠).

وهذا يدل على أن هؤلاء النصارى من نجران كانوا يعتقدون بألوهية عيسى عليه السلام، وأن النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى الإسلام ونبذ تلك الضلالات التي يعتقدوها في عيسى عليه السلام، ومع ذلك فقد كذبوا وكفروا بما جاءهم من الحق.

⁽١) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٦/١٢.

⁽٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/ ٢٣٢.

⁽٣) التسهيل لعلوم التنزيل، أبن جزي، ١/ ٢٥١.

⁽٤) تفسير القشيري، ١/ ٤٥٦.

⁽٥) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ١/ ٥٧٥.

ثانيًا: بنوة المسيح عليه السلام:

أشارت بعض الآيات الكريمة إلى دعوى القائلين من النصارى ببنوة عيسى عليه السلام.

قال الإمام الرازي رحمه الله: «وأما حكاية الله عن النصارى أنهم يقولون: المسيح ابن الله، فهي ظاهرة لكن فيها إشكال قوي، وهي أنا نقطع أن المسيح صلوات الله عليه وأصحابه كانوا مبرئين من دعوة الناس إلى الأبوة والبنوة، فإن هذا أفحش أنواع الكفر، فكيف يليق بأكابر الأنبياء عليهم السلام؟!

وإذا كان الأمر كذلك فكيف يعقل إطباق جملة محبي عيسى من النصارى على هذا الكفر، ومن الذي وضع هذا المذهب الفاسد، وكيف قدر على نسبته إلى المسيح عليه السلام؟ فقال المفسرون في الجواب على هذا السؤال: إن أتباع عيسى عليه الصلاة والسلام كانوا على الحق بعد رفع عيسى حتى وقعت حرب بينهم وبين اليهود، وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس

قتل جمعا من أصحاب عيسى.

ثم قال لليهود: إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا ونحن مغبونون إن دخلوا الجنة ودخلنا النار، وإني أحتال فأضلهم، فعوقب فرسه وأظهر الندامة مما كان يصنع ووضع على رأسه التراب وقال: نوديت من السماء ليس لك توبة إلا أن تتنصر، وقد تبت فأدخله النصارى الكنيسة ومكث سنة لا يخرج وتعلم الإنجيل فصدقوه وأحبوه.

ثم مضى إلى بيت المقدس واستخلف عليهم رجلا اسمه نسطور، وعلمه أن عيسى ومريم والإله كانوا ثلاثة، وتوجه إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت، وقال: ما كان عيسى إنسانا ولا جسما ولكنه الله، وعلم رجلا آخر يقال له يعقوب ذلك، ثم دعا رجلا يقال له ملكا فقال له: إن الإله لم يزل ولا يزال عيسى.

ثم دعا لهؤلاء الثلاثة وقال لكل واحد منهم أنت خليفتي فادع الناس إلى إنجيلك، ولقد رأيت عيسى في المنام ورضي عني، وإني غدا أذبح نفسا لمرضاة عيسى، ثم دخل المذبح فذبح نفسه، ثم دعا كل واحد من هؤلاء الثلاثة الناس إلى قوله ومذهبه، فهذا هو السبب في وقوع هذا الكفر في طوائف النصاري(١).

⁽۱) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٩/١٦.

واختلف في سبب قولهم: (ابن الله) لذلك على قولين: أحدهما: أنه لما خلق من غير ذكر من البشر قالوا: إنه ابن الله، تعالى الله عن ذلك، الثاني: أنهم قالوا ذلك لأجل من أحياه من الموتى وأبرأه من المرضى (۱). قال السمر قندي: «لأن المسيح كان يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله تعالى، فقالوا: لم يكن يفعل هذا إلا وهو ابن

والمتأمل في هذه الدعوى الباطلة يرى بوضوح إن ادعاء بنوة عيسى عليه السلام بسبب طبيعة خلقه المخالفة للعادة من غير أب ليس بأعجب من خلق آدم عليه السلام من غير أب ولا أم، وأما معجزات عيسى عليه السلام فهي من جنس المعجزات التي أجراها الله على أيدي الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من قبله، ولم تدل عند تلك الأمم على ألوهية أولئك الأنبياء والرسل فلين ظهرت على أيديهم المعجزات، الذين ظهرت على أيديهم المعجزات،

وعلى أية حال فإن الآية الكريمة أشارت إلى القائلين من النصارى بأن الله تعالى اتخذ عيسى عليه السلام ابنًا، إلا أن آياتٍ كثيرةً نقضت دعواهم وأبطلتها وردتها وبينت استحالة اتخاذ الله تعالى الولد سواء

(٢) تفسير السمرقندي، ٢/ ٥٣.

أكان عيسى عليه السلام أم غيره.

قال تعالى: ﴿ بِدِيعُ ٱلسَّمَنُوْتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَنَّ يَكُونُ لَهُ، وَلَدُّ وَلَرُ تَكُن لَهُ صَنْحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٌ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ ﴿ ﴾ [الأنعام: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿ مَا اللَّهُ مِن اللَّهِ مِن وَلَهِ وَمَا صَالَكُ لَا لَهُ مِن وَلَهِ وَمَا صَالَكُ اللَّهِ مِمَا صَالَكُ اللَّهِ مِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ شُبْحَننَ ٱللَّهِ عَمَّا يَضِغُونَ اللَّهِ عَمَّا يَضِغُونَ اللَّهِ عَمَّا يَضِغُونَ اللَّهِ عَمَّا اللهِ منون ٩١].

وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَنْخِذَ مِن وَلَدٍّ لَهُ أَن يَنْخِذَ مِن وَلَدٍّ لَهُ مُنكُونُ لَهُ مُكُن فَيَكُونُ لَهُ مُكُن فَيكُونُ اللَّهُ مُكُن فَيكُونُ اللَّهُ مُكُن فَيكُونُ اللَّهُ مُكُن فَيكُونُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّالِي اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللّه

ودلالة الآيات واضحة في استحالة أن يكون لله تعالى ولد، فالكون كله خاضع إليه وعابد له جل وعلا.

قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا عَاتِي ٱلرَّمْنِ عَبْدًا ﴿ ﴿ وَالرَّانِ ٩٣]. وهو المنفرد بخلق السموات والأرض وما بينهما، إذا أراد أمرًا يقول له كن فيكون،

فليس له حاجة إلى الولد.

ووردت أيضًا عدة نصوص من السنة النبوية المطهرة تنفي دعوى النصارى في اتخاذ الله تعالى الولد، منها ما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى: (كذبني ابن

⁽۱) انظر: النكت والعيون، الماوردي، ٣٥٣/٢. زاد المسير، ابن الجوزي، ٢٥٢/٢.

آدم ولم یکن له ذلك، وشتمني، ولم یکن له ذلك، فأما تكذیبه إیای فزعم أنی لا أقدر أن أعیده کما کان، وأما شتمه إیای، فقوله لی ولد، فسبحانی أن أتخذ صاحبة أو ولدا) (1)، وعلی هذا یتبین بطلان ادعائهم الولد لله تعالی.

ثالثًا: التثليث عند النصارى:

من المعلوم أن عقيدة التثليث هي أصل من أصول عقائد النصارى المنحرفة التي لا أصل لها إلا في الديانات الوثنية القديمة، ومع ذلك فالنصارى بفرقهم مجمعون على التثليث ويقولون: "إن الله جوهر واحد وله ثلاثة أقانيم، فيجعلون كل أقنوم إلها ويعنون بالأقانيم الوجود والحياة والعلم، وربما يعبرون عن الأقانيم بالأب والابن وروح القدس، فيعنون بالأب الوجود، وبالروح الحياة، وبالابن المسيح»(").

ولا تختلف عقيدة النصارى في التثليث عن عقيدة ألوهية المسيح وأمه عليهما السلام فكلاهما عقيدتان باطلتان فالأدلة التي أبطلت ألوهية المسيح وأمه عليهما السلام في القرآن الكريم هي نفسها التي تبطل دعواهم في التثليث، لأنهما جوهران

من الأقانيم الثلاثة كما يزعمون، ومع ذلك فقد وردت آيتان كريمتان تنصان على بطلان عقيدة التثليث عند النصاري.

قال تعالى: ﴿ يَنَا هَلَ الْحَيْثِ لَا تَغُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلّا نَعْدَلُواْ عَلَى اللّهِ إِلّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُوكُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ اللّهِ وَكِلْمَتُهُ الْفَدَهُمَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَعَامِنُوا بِاللّهِ وَرُسُلِهِ، وَلَا تَعُولُواْ ثَلَنَهُ انتهُوا فَنَامِنُوا بِاللّهِ وَرُسُلِهِ، وَلَا تَعُولُواْ ثَلَنَهُ انتهُوا فَنَامِنُوا بِاللّهِ وَرُسُلِهِ، وَلَا تَعُولُواْ ثَلَنَهُ انتهُوا فَنَامِنُوا بَاللّهُ اللهِ وَحِدُ اللّهُ اللهُ وَحِدُ السّبَحَانَةُ وَلَا تَعُولُوا مَلَا اللهُ اللّهُ وَحِدُ اللّهُ اللّهُ وَحِدُ اللّهُ اللّهُ وَحِدُ اللّهُ اللّهُ وَحِدُ اللهُ اللّهُ وَحِدُ وَمَا فِي السّمَحُونَ وَمَا فِي اللّهِ وَكِيلًا اللهُ اللهِ وَكِيلًا اللهُ اللّهُ اللّهُ وَحِيلًا اللهُ اللّهُ اللّهُ وَحِيلًا اللهُ اللّهُ اللّهُ وَحِيلًا اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ وَحِيلًا اللهُ اللّهُ اللّهُ وَكِيلًا اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَكُولًا اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللللللللللللللللللللللل

والخطاب في الآية الكريمة وإن كان يشمل أهل الكتاب جميعا من يهود ونصارى، إلا أن النصارى هم المقصودون هنا قصدا أوليا، بدليل سياق الآية الكريمة، فقد ذكرت حججا تبطل ما زعمه النصارى في شأن عيسى عليه السلام (٣).

أي: ينهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسى عليه السلام حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله تعالى إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، وهذا خطاب موجه إلى النصارى

⁽٣) انظر: التفسير الوسيط، سيد طنطاوي٣/ ٤٠٠ /٣

⁽۱) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه)، ٦٩/٦

⁽٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٦/ ٢٣.

خاصة، وخوطبوا بعنوان أهل الكتاب تعريضا بأنهم خالفوا كتابهم (١).

وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ ثَلَاثَةً ﴾:

«يعني: ولا تقولوا الآلهة ثلاثة وذلك أن
النصارى يقولون أب وابن وروح القدس،
وقيل: إنهم يقولون إن الله بالجوهر ثلاثة
أقانيم وذلك أنهم أثبتوا ذاتا موصوفة بصفات
ثلاثة بدليل أنهم يجوزون على تلك الذات
الحلول في عيسى وفي مريم فأثبتوا ذواتا
متعددة ثلاثة، وهذا هو محض الكفر، فلهذا
قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَاتُهُ أَنتَهُوا خَيْراً
قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَاتُهُ أَنتَهُوا خَيْراً
القول خير لكم من القول بالتثليث (١٠).

ولذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الوقوع في الغلو والإطراء كما حدث مع طائفة من النصارى، فقد صح عن ابن عباس أنه سمع عمر رضي الله عنه، يقول على المنبر: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله)(").

أي: لا تجعلوني إلها من دون الله تعالى كما جعلت النصارى ابن مريم إلها من دون الله، وليس المقصود من الحديث تعظيمه وتوقيره، فهذا واجب على الأمة.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا اللهِ اللهِ مَا لَذِينَ قَالُوا اللهِ اللهِ مَا لَكُ مُلائِمَةٍ ﴾ [المائدة: ٧٣].

ومعنى قولهم: «إن الله ثالث ثلاثة أن ما يعرفه الناس أنه الله هو مجموع ثلاثة أشياء، وأن المستحق للاسم هو أحد تلك الثلاثة الأشياء، وهذه الثلاثة قد عبروا عنها بالأقانيم وهي: أقنوم الوجود، وهو الذات المسمى الله، وسموه أيضا الأب وأقنوم العلم، وسموه أيضا الابن، وهو الذي اتحد بعيسى وصار بذلك عيسى إلها وأقنوم الحياة وسموه الروح القدس» (3).

ويبين الإمام الرازي معنى التثليث في الآية الكريمة بقوله: «فهذا التثليث إما أن يكون لاعتقادهم وجود صفات ثلاثة، أو لاعتقادهم وجود ذوات ثلاثة، والأول باطل، لأن المفهوم من كونه تعالى عالما غير المفهوم من كونه قادرا ومن كونه حيا، وإذا كانت هذه المفهومات الثلاثة لا بد من الاعتراف بها، كان القول بإثبات صفات ثلاثة من ضرورات دين الإسلام، فكيف يمكن تكفير النصارى بسبب ذلك، ولما بطل ذلك علمنا أنه تعالى إنما كفرهم؛ لأنهم بطل ذلك علمنا أنه تعالى إنما كفرهم؛ لأنهم

⁽٤) التحرير والتنوير، ٦/ ٢٨٢.

⁽۱) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/ ٤٧٧، التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢/ ٥٠.

⁽٢) لباب التأويل، الخازن، ١/ ٤٥٢.

⁽٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها)، ٤/١٦٧، رقم ٣٤٥٥

أثبتوا ذواتا ثلاثة قديمة مستقلة، ولذلك فإنهم جوزوا في أقنوم الكلمة أن يحل في عيسى، وجوزوا في أقنوم الحياة أن يحل في مريم ولولا أن هذه الأشياء المسماة عندهم بالأقانيم ذوات قائمة بأنفسها، لما جوزوا عليها الانتقال من ذات إلى ذات، فثبت أنهم قائلون بإثبات ذوات قائمة بالنفس قديمة أزلية وهذا شرك، وقول بإثبات الآلهة، فكانوا مشركين (1).

قال الشيخ رحمة الله الهندي في بيان عقيدة التثليث عقيدة التثليث: «عقيدة التثليث لم يأت بها نبي من الأنبياء، ولا نزلت في كتاب من الكتب السماوية، وعدم ورودها في التوراة غير محتاج إلى بيان؛ لأن من طالع التوراة الحالية لا يجد فيها ذكرًا صريحًا، ولا إشارة أو تلميحًا لهذا الأمر.

وعلماء اليهود من عهد موسى عليه السلام إلى هذا الزمان لا يعترفون بعقيدة التثليث، ولا يرضون بنسبتها إلى كتبهم، فلو كانت عقيدة التثليث حقا لوجب على موسى وسائر أنبياء بني إسرائيل وآخرهم عيسى عليه السلام أن يبينوها حق التبيين، فقد كانوا مأمورين بالعمل بجميع أحكام التوراة في الشريعة والعقيدة.

وأهل التثليث يعتقدون أن عقيدتهم هذه هي مدار النجاة ولا يمكن نجاة أحد بدونها

نبيا كان أو غير نبي، فكيف فارق أنبياء بني إسرائيل كلهم الدنيا دون أن يبينوا هذه العقيدة بيانا واضحا وصريحا؟!

وهم في نفس الوقت بينوا أمورا وأحكاما أقل أهمية من هذه العقيدة، وكرروا البيان لبعض الأحكام مرة بعد أخرى، وأكدوا على المحافظة عليها والعمل بها تأكيدا بليغا، وأوجبوا القتل على تارك بعضها.

فالعجب كل العجب أن عيسى عليه السلام الذي هو خاتم أنبياء بني إسرائيل والذي هو أحد أركان الثالوث عند النصارى عرج إلى السماء دون أن يبين لأتباعه هذه العقيدة بكلام واضح غير محتاج إلى التأويل، كأن يقول مثلا: إن الله ثلاثة أقانيم: الآب والابن والروح القدس، وأن أقنوم الابن – الإله الثاني – متعلق بي بالعلاقة الفلانية، أو بعلاقة فهمها خارج عن إدراك عقولكم، أو أن يقول أي كلام آخر صريح في بيان هذه العقيدة»(٢).

ويتضح مما تقدم من الآيات الكريمة وأقوال بعض المفسرين أن القرآن الكريم رد دعوى النصارى في التثليث حين جعلوا الله تعالى ثلاثة أقانيم كما يدعون، وأبطلها حين دعاهم إلى الحق والإيمان والتوحيد، ونهاهم عن الغلو في دينهم، وأن لا يقولوا

⁽٢) مختصر إظهار الحق، رحمت الله الهندي، ١٨٣/١.

⁽١) مفاتيح الغيب، الرازي، ٦/ ٤٠٩.

على الله إلا الحق ولا يقولوا أنه واحد في ثلاثة أو ثلاثة في واحد أو الأقانيم الثلاثة، والإنتهاء عن هذه الدعوى التي تتنافى مع توحيد الله تعالى والمؤدية إلى الكفر الصريح، والتحذير من عدم الرجوع إليه لما ترتب عليه من التهديد والوعيد في الآيات الكريمة ففي هذا الإنتهاء الخير لهم، ثم بعد ذلك كله نزه الله تعالى نفسه عن قول النصارى بالتثليث فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا اللهُ إِلّهُ النَّهِ اللهُ اللهُ

دعاوى النصاري وأقوالهم الباطلة

تحدث القرآن الكريم عن عقائد النصارى وبين انحرافهم عن دين عيسى عليه السلام كما مر ذكره، إلا أن النصارى لم تكتف بتلك العقائد الباطلة بل زادوا على ذلك دعاوى وأقوالًا باطلة رد عليها القرآن الكريم وهذا ما سوف نبينه من خلال النقاط الآتية:

أولًا: دعوى نفي دخول غيرهم الجنة:

ادعت طائفة من النصارى أن الجنة لا يدخلها غيرهم، وهذه الدعوى الباطلة لا دليل لهم عليها سوى الإدعاء بأنهم هم أصحاب الجنة، وكذلك قال بعض اليهود.

وتحدث القرآن الكريم عن هذه الدعوى الكاذبة حين قال تعالى حاكيا عن اليهود والنصارى: ﴿ وَقَالُواْ لَنَ يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ إِلّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تُعِلَّكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلُ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تُعِلَّكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلُ مَا الله مَا الله عَلَىٰ الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَىٰ الله عَلَى الله عَلَىٰ الله عَلَى الله عَلَىٰ الله عَلَى

ومعنى الآية: وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا يعني: يهوديا، أو نصارى

⁽۱) انظر: جامع البيان، الطبري، ۲/ ۰۰۷، تفسير السمرقندي، ۱/ ۸۶، مدارك التنزيل، النسفي، ۱/ ۱۲۰.

وذلك أن اليهود قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا ولا دين إلا دين اليهودية، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا ولا دين إلا دين النصرانية، فحكموا لأنفسهم بالجنة وحدهم، وهذا مجرد أمانٍ غير مقبولة، إلا بحجة وبرهان، فأتوا بها إن كنتم صادقين، وهكذا كل من ادعى دعوى لا بد أن يقيم البرهان على صحة دعواه، وإلا فلو قلبت عليه دعواه، وادعى مدع عكس ما ادعى بلا برهان لكان وادعى مدع عكس ما ادعى بلا برهان لكان لا فرق بينهما، فالبرهان هو الذي يصدق الدعاوى أو يكذبها، ولما لم يكن بأيديهم برهان، علم كذبهم بتلك الدعوى (۱).

قيل في سبب نزول هذه الآية الكريمة: إنها نزلت في وفد نجران، وكانوا نصارى اجتمعوا مع اليهود في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب بعضهم بعضا في دعواه (٢).

ورد الله تعالى على أصحاب هذه الدعوى بأن هذا من أمانيهم حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّ الله عَلَى مَمَانِيُّهُمْ ﴾: ﴿ أَي: شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير حق، قل: يعني: يا محمد ﴿ مَا أَوْا بُرُهَن كُمْ مَا كُمُ الله على دعواكم أن الجنة لا يدخلها إلا من كان يهوديًّا أو نصرانيًّا دون غيرهم، ﴿ إِن

الكريم الرحمن، السعدي ص٦٢. (٢) لباب التأويل، الخازن، ١/ ٧١.

حُنتُم صَدِقِينَ ﴾ يعني فيما تدعون. ثم قال تعالى ردا عليهم: ﴿ بَلَىٰ ﴾ أي ليس الأمر كما تزعمون ولكن ﴿مَنْ أَسَلَمَ وَجَهَهُ لِلَّهِ وَهُو مُحْسِنٌ ﴾ فإنه الذي يدخل الجنة وينعم فيها، ومعنى أسلم وجهه لله أخلص في دينه لله، وقيل: أخلص عبادته لله، وقيل خضع وتواضع لله تعالى، لأن أصل الإسلام الاستسلام وهو الخضوع ((**). قال الإمام الطبري رحمه الله: «فإن قال قائل: وكيف جمع اليهود والنصارى في هذا الخبر مع اختلاف مقالة الفريقين؛ واليهود تدفع النصارى عن أن يكون لها في ثواب الله نصيب، والنصارى تدفع اليهود عن مثل ذلك؟

قيل: إن معنى ذلك بخلاف الذي ذهبت إليه، وإنما عنى به: وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقالت النصارى: لن يدخل النخل الجنة إلا النصارى، ولكن معنى الكلام لما كان مفهوما عند المخاطبين به معناه، جمع الفريقان في الخبر عنهما، فقيل: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلُ الْجَنّةَ إِلّا مَن كَانَ هُودًا الجنة إلا من كان يهوديا، وقالت النصارى: الجنة إلا من كان يهوديا، وقالت النصارى: لن يدخل لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا، (٤).

⁽۱) انظر: لباب التأويل، الخازن، ۱/ ۷۱، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٢٢.

⁽٣) المصدر السابق.

⁽٤) جامع البيان، الطبري، ٢/ ٥٠٧.

في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ اللَّهِ مَالدَّارُ النَّاسِ النَّاسِ مَندَ أَللَّهِ خَالِمِكَةُ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَلدِقِينَ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّا ال

قال الإمام الرازي: إعلم أن هذا نوع آخر من قبائحهم وهو ادعاؤهم أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس ويدل عليه وجوه منها: ما حكى الله تعالى عنهم في قوله: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَدُى ﴾ [البقرة: ١١١].

واعتقادهم في أنفسهم أنهم هم المحقون؛ لأن النسخ غير جائز في شرعهم وأن سائر الفرق مبطلون، واعتقادهم أن انتسابهم إلى أكابر الأنبياء عليهم السلام أعني يعقوب وإسحاق وإبراهيم يخلصهم من عقاب الله تعالى ويوصلهم إلى ثوابه.

ثم إنهم لهذه الأشياء عظموا شأن أنفسهم فكانوا يفتخرون على العرب وربما جعلوه كالحجة في أن النبي المنتظر المبشر به في التوراة منهم لا من العرب وكانوا يصرفون الناس بسبب هذه الشبهة عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم، ثم إن الله احتج على فساد قولهم بقوله: ﴿قُلَ إِن كَانَتَ لَكُمُ فَاللّهَ عَلَيْهِ مَا لَكُمْ مِن دُونِ النّاسِ فَمَا وَاللّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَ

فإن قيل: «إنهم إذا نفوا دخول غيرهم

فيها ادعوا لأنفسهم الدخول، فإنما طولبوا بالبرهان على ما ادعوا، ليس على ما نفوا، قيل: لا يحتمل ذا؛ لأنهم لم يذكروا دخول أنفسهم تصريحًا، إنما نفوا دخول غيرهم وهو كمن يقول: لا يدخل هذه الدار إلا فلان وفلان، ليس فيه أن فلانًا وفلانًا يدخلان ولكن فيه نفي دخول غيرهما، أو نقول: نفوا دخول غيرهم تصريحًا، وادعوا لأنفسهم الدخول مستدلا، وإنما يطلب الحجة على مصرح قولهم، لا على مستدلهم.

ألا ترى أن الجواب من الله عز وجل بالإكذاب والرد عليهم خرج على ما نفوا دخول غيرهم، وهو قوله: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسَلَمَ وَجَهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُسِّنٌ ﴾ فعلى ذلك قوله: ﴿ لَنَ يَدَخُلُ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ ليس فيه إثبات الدخول لهم تصريحًا، وفيه نفي دخول غيرهم تصريحًا، والله أعلم "().

ويتضح مما تقدم أن النصارى يزعمون أنهم أصحاب حق، وأنهم أولى بالجنة من غيرهم، وأن من عداهم فمن أهل النار، وهذه أماني كاذبة لم يقم عليها دليل ولا حجة ظاهرة، لذلك أمر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بأن يطالب أهل الكتاب بتقديم برهانهم على دعواهم الباطلة وإثبات عجزهم التام عن إحضار الدليل والبرهان.

⁽٢) تأويلات أهل السنة، الماتريدي، ١/١٥٥.

⁽١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ١/ ١٧٥.

ولذلك قال الإمام الطبري: "وهذا الكلام وإن كان ظاهره ظاهر دعاء القائلين: ﴿ وَهَذَا الْكِلَامِ وَإِنْ كَانَ هُودًا أَوْ الْمَالَىٰ اللَّهِ مَن كَانَ هُودًا أَوْ الْمَالَىٰ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

ثم جاءت الآية بعدها لتبين من الذين سوف يدخلون الجنة في قوله تعالى: ﴿ بَلَنَ مَنْ أَسَلَمَ وَجْهَهُ, لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِئٌ فَلَهُۥ أَجَرُهُۥ عِندَ رَبِّهِ، وَلَا هُمْ يَعَزَنُونَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَعَزَنُونَ لَا البقرة: ١١٢].

أي: «من أخلص عمله ونيته بالطاعة والإيمان، وخص الوجه بالذكر دون سائر الأعضاء؛ لأنه أشرف أعضاء بني آدم وأعظمها حرمة، فإذا خضع وجهه الذي هو أكرم الأعضاء كان ما سواه أحرى أن يخضع» (٢).

لذا كذب الله تعالى دعواهم وبين أنها مجرد أماني لا يدركوها بالتمني، وأن الجنة متاحة لكل من يعمل لها ولا تقتصر على طائفة دون أخرى بل هي لكل من عمل صالحًا وأسلم وجهه لله تعالى وهو محسن.

ثانيًا: دعوى أن الهدى في اتباع ملتهم:

تحدث القرآن الكريم عن هذه الدعوى الكاذبة حين قال تعالى حاكيا عن النصارى: ﴿وَقَالُوا حَكُونُوا هُودًا أَوْ نَصَكَرَىٰ تَهْتَدُوا أَقُلْ بَلَ مِلَا إِرَهِمُ حَنِيقًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿ اللَّهِ مَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿ اللَّهُ الللَّا اللَّالَالَالْمُلْلَا اللَّهُ الللَّالَةُ اللَّهُ اللَّهُ اللّل

أما سبب نزول هذه الآية، فقد قال الواحدي: «قال ابن عباس: نزلت في رؤوس يهود المدينة: كعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف، وأبي ياسر ابن أخطب، وفي نصارى أهل نجران، وذلك أنهم خاصموا المسلمين في الدين كل فرقة

⁽٢) الهدآية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ٤٠٣/١



⁽٣) جامع البيان، الطبري، ٣/ ١٠٢.

⁽١) جامع البيان، الطبري، ٢/ ٥١٠.

تزعم أنها أحق بدين الله تعالى من غيرها، فقالت اليهود: نبينا أفضل الانبياء، وكتابنا التوراة أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت بعيسى والإنجيل ومحمد والقرآن، وقالت النصارى: نبينا أفضل الأنبياء، وكتابنا الإنجيل أفضل الأديان، وكفرت بمحمد والقرآن، وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين: كونوا على ديننا فلا دين إلا ذلك ودعوهم إلى دينهم»(١).

وقد رد الله تعالى دعوى النصارى الباطلة في الآية نفسها حين خاطب النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: ﴿ الله عليه وسلم أن يقول لهم: ﴿ الله الله عليه وسلم أن يقول لهم: ﴿ الله الله نتبع ملة إبراهيم حنيفا، قال ابن دريد: الحنيف: العادل عن دين إلى دين، وسمي الإسلام: الحنيفية؛ لأنها مالت عن اليهودية والنصرانية، وقال الأصمعي: ومن عدل عن دين اليهود والنصارى فهو حنيف عند العرب، وقال الأخفش: الحنيف: المسلم، وكان في الجاهلية يقال لمن اختتن وحج البيت: حنيف، وقال ابن عباس: الحنيف: المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، وقال مجاهد: الحنيفية: اتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماما

للناس»^(۲).

ثم خاطب الله تعالى المؤمنين وأمرهم أن يقولوا للقائلين بهذه الدعوى، فقال لهم: ﴿ قُولُواْ ءَامَنَا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى اللهِ عَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى اللهِ عَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى اللهِ عَمَا أُوتِي مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِي النّبِيُونَ مِن رّبِهِمَ لَا نُفَرِقُ بَيْنَ أَمَدِ مِنْهُمْ وَتَعَنُ لَهُ مُسلِمُونَ ﴿ اللهِ مَنْهُمْ وَتَعَنُ لَهُ مُسلِمُونَ ﴿ اللهِ مَنْهُمْ وَتَعَنُ لَهُ مُسلِمُونَ ﴿ اللهِ اللهِ وَمَا اللهِ مَنْهُمُ وَتَعَنُ لَهُ مُسلِمُونَ ﴿ اللهِ اللهِ وَمَا أُولِ اللهِ وَمَا اللّهُ وَالْمُونَ اللّهُ وَالْمُونَ اللّهُ وَمَا اللّهِ وَمَا اللّهُ وَمُونَا اللّهُ وَاللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمُعْمُونَ اللّهُ وَالْمُونَ اللّهُ وَمُنْ اللّهُ وَاللّهُ وَمُنْ اللّهُ وَاللّهُ وَالْمُولِمُ وَاللّهُ وَالْ

ويتضح مما تقدم بطلان دعوى النصارى في أن الهداية في اتباع ملتهم، وأن الهدى في ملة إبراهيم عليه السلام، مع علمهم وإقرارهم بنبوة إبراهيم عليه السلام، وأن القرآن الكريم نقض هذه الدعوى حيث بين لهم أن الهداية الحقة ليست مع اليهودية ولا مع النصرانية بل باتباع ملة إبراهيم عليه السلام حنيفا، ولا تحصل الهداية إلا بذلك، ولو كانوا حقا يريدون الهدى لآمنوا بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام لأنه على ملة إبراهيم الخليل عليه السلام.

ثالثًا: دعوى أنهم أبناء الله وأحباؤه:

يقول الطبري رحمه الله: «وهذا خبر من

⁽٢) تفسير الوسيط، الواحدي، ١/ ٢١٨.

⁽۱) أسباب النزول، الواحدي، ص۲۵، العجاب في بيان الأسباب، ابن حجر العسقلاني، ۱/ ۳۸۰.

الله جل وعز عن قوم من اليهود والنصارى أنهم قالوا هذا القول»(١).

«ومرادهم بالأبناء المقربون أي: نحن مقربون عند الله تعالى قرب الأولاد من والدهم، وبالأحباء: جمع حبيب بمعنى محب أو محبوب، ويجوز أن يكون أرادوا من الأبناء الخاصة كما يقال: أبناء الدنيا، وأبناء الآخرة، وأن يكون أرادوا أشياع من وصف بالبنوة أي قالت اليهود: نحن أشياع ابنه عزير، وقالت النصارى: نحن أشياع على الأشياع مجازا إما تغليبا أو تشبيها لهم على الأشياع مجازا إما تغليبا أو تشبيها لهم بالأبناء في قرب المنزلة (٢).

وأما النصارى ففي قولهم لذلك قولان: أحدهما: لتأويلهم ما في الإنجيل من قوله: «اذهب إلى أبي وأبيكم»، فقالوا لأجل ذلك: ﴿ فَمَن النَّانِيُ اللَّهِ وَأَحِبَتُوهُ ﴾، الثاني: لأجل قولهم في المسيح: ابن الله، وهم يرجعون إليه، فجعلوا نفوسهم أبناء الله وأحباءه (٣).

وقد تقدم الكلام على قول النصارى في بنوة عيسى عليه السلام وأدلتهم الباطلة ورد القرآن عليها وإبطالها.

وأما سبب نزول هذه الآية: فقد قال ابن عباس: (خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما من اليهود العقاب فقالوا: لا

- (١) جامع البيان، الطبري، ١٠/ ١٥٠.
- (٢) روح المعاني، الألوسي، ٣/ ٢٧٢.
- (٣) النكت والعيون، الماوردي، ٢ / ٢٣.

نخاف فإنا أبناء الله وأحباؤه، فنزلت الآية، وقال ابن إسحاق: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن أضا وبحري بن عمرو وشأس بن عدي فكلموه وكلمهم، ودعاهم إلى الله عز وجل وحذرهم نقمته فقالوا: ما تخوفنا يا محمد؟، نحن أبناء الله وأحباؤه، كقول النصارى، فأنزل الله عز وجل فيهم هذه الآمة)(٤).

ثم إنه تعالى أبطل عليهم دعواهم، وقال وإن كنتم كما تدعون أبناءه: ﴿ فَلِمَ يُعَدِّبُكُم الله المائدة:١٨].

يقول الإمام الرازي: «وفيه سؤال وهو أن حاصل هذا الكلام أنهم لو كانوا أبناء الله وأحباءه لما عذبهم لكنه عذبهم، فهم ليسوا أبناء الله ولا أحباءه، والإشكال عليه أن يقال: إما أن تدعوا أن الله عذبهم في الدنيا، أو تدعوا أنه سيعذبهم في الآخرة.

فإن كان موضع الإلزام عذاب الدنيا فهذا لا يقدح في ادعائهم كونهم أحباء الله؛ لأن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان يدعي أنه هو وأمته أحباء الله، ثم إنهم ما خلوا عن محن الدنيا، انظروا إلى وقعة أحد، وإلى قتل الحسن والحسين رضى الله عنهما.

وإن كان موضع الإلزام هو أنه تعالى

⁽٤) انظر: دلائل النبوة، البيهقي، ٢/ ٥٣٥، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٦/ ١٢٠، لباب التأويل، الخازن، ٢/ ٢٥، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/ ٣٨.

سيعذبهم في الآخرة فالقوم ينكرون ذلك، ومجرد إخبار محمد صلى الله عليه وسلم ليس بكاف في هذا الباب، إذ لو كان كافيا لكان مجرد إخباره بأنهم كذبوا في ادعائهم أنهم أحباء الله كافيا، وحينئذ يصير هذا الاستدلال ضائعًا»(١).

ويجيب الإمام الرازي رحمه الله على ذلك السؤال من وجوه:

«الأول: إن موضع الإلزام هو عذاب الدنيا، والمعارضة بيوم أحد غير لازمة لأنه يقول: لو كانوا أبناء الله وأحباءه لما عذبهم الله في الدنيا، ومحمد عليه الصلاة والسلام ادعى أنه من أحباء الله ولم يدع أنه من أبناء الله فزال السؤال.

الثاني: إن موضع الإلزام هو عذاب الآخرة، واليهود والنصاري كانوا معترفين بعذاب الآخرة كما أخبر الله تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّا أَتَكَامًا مَّعْدُودَةً ﴾ [البقرة: ٨٠].

والثالث: المراد بقوله: ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ فلم مسخكم، فالمعذب فى الحقيقة اليهود الذين كانوا قبل اليهود المخاطبين بهذا الخطاب في زمان الرسول عليه الصلاة والسلام، إلا أنهم لما كانوا من جنس أولئك المتقدمين حسنت هذه الإضافة، وهذا الجواب أولى لأنه تعالى

(۱) مفاتيح الغيب، الرازي، ۲۱/ ۳۲۹.

ويتضح مما تقدم بطلان دعوى اليهود

والنصارى وبطلان استدلالهم واعتقادهم

لم يكن ليأمر رسوله عليه الصلاة والسلام أن يحتج عليهم بشيء لم يدخل بعد في الوجود فإنهم يقولون: لا نسلم أنه تعالى يعذبنا، بل الأولى أن يحتج عليهم بشيء قد وجد وحصل حتى يكون الاستدلال به قويا متينا، ثم قال تعالى: ﴿ بَلْ أَنتُم بَثَرُ مِنَّن خَلَقَ يَمْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاهُ ﴾ يعنى أنه ليس لأحد عليه حق يوجب عليه أن يغفر له، وليس لأحد عليه حق يمنعه من أن يعذبه، بل الملك له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد» (٢).

وأن الاستفهام في الآية الكريمة مع دلالته على استنكار قولهم فيه دلالتان أخريان: «إحداهما: إعلامهم بأنه سيعذبهم

بذنوبهم، وأنهم مأخوذون بما يقترفون من سيئات، وما يجترحون من مآثم ومظالم.

الثانية: الدلالة على أن عمل الخير له ثوابه، وعمل السوء له عقابه، وأن من يقول غير ذلك فهو مبطل، وما كان لهم أن يدعوا محبة الله، وأنهم منه بمنزلة الأبناء من الآباء، ومع ذلك يعصونه، وينشرون في الأرض الفساد، فهذا استفهام مع ما فيه من إحكام واستنكار يتضمن معانى سامية، فيها التهديد لمن عصى، والتبشير لمن أطاع» (٣).

⁽٣) المعجزة الكبرى القرآن، أبو زهرة، ص١٦١.

⁽٢) المصدر السابق، ١١/ ٣٢٩.

www. modoee.com

بالتمييز والأفضلية على غيرهم وأن الله تعالى قد كذبهم ونفاهم عنه في ادعائهم أنهم أبناؤه وأحباؤه، بل وبين عذابهم، فالله تعالى لا يحابي فريقًا من الناس دون الآخر، وكيف يحابي النصارى الذين يدعون إلوهية المسيح عليه السلام، وأن الله ثالث ثلاثة، وإن المسيح هو ابن الله، تعالى الله عما يقولون، ومع كل هذه الإدعاءات الباطلة، ثم بعد ذلك لا يعذبهم الله.

رابعًا: دعوى أن إبراهيم وبنيه كانوا هودًا أو نصارى:

ادعت النصارى أن إبراهيم عليه السلام كان منهم، وادعوا أن إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا على ملتهم أيضًا، وكذلك قال اليهود.

وذكر القرآن الكريم هذه الدعوى في قوله تعالى: ﴿ أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَهِ عَمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعَ وَإِسْمَعُوا هُودًا أَوْفَ مُؤْدًا أَوْفَ مُؤَدًا أَوْفَ مُؤَدًا أَوْفَ مُؤَدًا أَوْفَ مُؤَدًا أَوْفَ مُؤَدًا أَوْفَ مُؤَدًا أَلِلَهُ مِعْنَ اللّهُ مِعْنَ اللّهُ مِعْمَدَ مُعَمَد مُعَمَد مُعَمَد اللّهُ مِعْمَد مُعَمَد مُعَد مُعَمَد مُعَالِق مُعَمَد مِعَمَد مُعَمَد مُعَمِد مُعَمَد مُعَمَد مُعَمَد مُعَمَد مُعَمِع مُعَمَد مُعَمَد مُعَمَد مُعَمَد مُعَمَد مُعَمَد مُعَمَد مُعَمَد مُعَمَد مُعَمِد مُعَمِع مُعَمَد مُعَمِع مُعَمَد مُعَمَد مُعَمِع مُعَمَد مُعَمَد مُعَمِع مُعِمْ مُعِمِع مُعَمِع مُعِمْع

ومعنى الآية: «قالوا: ﴿إِنَّ إِنَّ هِمَتُمُ وَالسَّمُعِيلَ وَإِسْمُعِيلَ وَإِسْمُخَوَّكَ وَيَعْفُوبَ وَالسَّمَاطَ ﴾ وهم إثنا عشر سبطًا من ولد يعقوب، والسبط الجماعة الذين يرجعون إلى أب واحد، ﴿كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَدَرَئُ قُلْ

مَّأَنَّمُ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ يعني: اليهود تزعم أن هؤلاء كانوا هودًا، والنصارى تزعم أنهم كانوا نصارى، فرد الله عليهم بأن الله تعالى أعلم بهم منكم، يعني: بأنهم لم يكونوا هودًا ولا نصارى»(١).

قال الرازي: "إنما أنكر الله تعالى ذلك القول عليهم لوجوه، أحدها: لأن محمدا صلى الله عليه وسلم ثبتت نبوته بسائر المعجزات، وقد أخبر عن كذبهم في ذلك فثبت لا محالة كذبهم فيه، وثانيها: شهادة التوراة والإنجيل على أن الأنبياء كانوا على التوحيد والحنيفية، وثالثها: أن التوراة والإنجيل أنزلا بعدهم، ورابعها: أنهم ادعوا ذلك من غير برهان فوبخهم الله تعالى على الكلام في معرض الاستفهام على سبيل الإنكار والغرض منه الزجر والتوبيخ وأن يقرر الله في نفوسهم أنهم يعلمون أنهم يقرر الله في نفوسهم أنهم يعلمون أنهم كانوا كاذبين فيما يقولون»(٢).

وقوله تعالى: ﴿قُلْءَأَنتُمْ أَعَلَمُ آمِ اللّهُ ﴾ أي:
«تقرير وتوبيخ في ادعائهم بأنهم كانوا هودا
أو نصارى، فرد الله عليهم بأنه أعلم بهم
منكم، أي: لم يكونوا هودا ولا نصارى»(٣).
وهذا يقتضي الإيمان التام بأن الله تعالى
هو الأعلم ولا ينبغي لأحد أن يصف نفسه
بما وصف الله تعالى به نفسه.

- (١) النكت والعيون، الماوردي، ١٩٦/١.
 - (٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ٤/ ٧٧.
- (٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢/ ١٤٧.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادة الله سُهَدَةً عِندَهُ مِن اللّهِ ﴾ يعني: شهادة الله لإبراهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية، والمعنى لا أحد أظلم من أهل الكتاب، لأنهم كتموا هذه الشهادة، أو منا لو كتمنا هذه الشهادة، وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه الصلاة والسلام بالنبوة في كتبهم وغيرها، وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم (١).

قال الحسن البصري: «كانوا يقرؤون في كتاب الله الذي أتاهم: إن الدين عند الله الإسلام، وإن محمدا رسول الله، وإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا برآء من اليهودية والنصرانية، فشهد الله بذلك، وأقروا به على أنفسهم لله، فكتموا شهادة الله عندهم من ذلك»(٢).

وقد أخبر الله تعالى بأنهم لم يكونوا هودا ولا نصارى، كما قال تعالى: ﴿ أَمَّ كُتُمُ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَمَقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَمْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهُكَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَمْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهُكَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَمْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهُكَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعَى لِلَهُ وَاللّهَ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ

[آل عمران:٢٥].

وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِزَهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَاكَانَ إِزَهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَاكَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ ثَالَ عَمران: ٦٧].

وهذه الآيات الكريمة تنفي كون إبراهيم عليه السلام يهوديا أو نصرانيا، وتبطل قولهم: ﴿ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَدَرَىٰ تُهْتَدُوا ﴾ [البقرة: ١٣٥].

وتبطل زعمهم أن يعقوب كان على اليهودية وأنه أوصى بها بنيه فلزمت ذريته فلا يحولون عنها، لذلك جيء هنا بتفصيل وصية يعقوب إبطالا لدعاوي أهل الكتاب ونقضا لمعتقدهم الذي لا دليل عليه، وأن التوراة والأنجيل ما كانت إلا من بعد إبراهيم عليه السلام وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وبنيه، وإن كان عندهم من علم بغير ذلك أم هم أعلم بهذا من الله تعالى، وأن إبراهيم وبنيه كانوا على ملة الإسلام وقد أوصوا ذريتهم بالثبات والموت على الإسلام.

⁽١) أنوار التنزيل، البيضاوي، ١/٠١١.

⁽٢) تفسير القرآن العظيم، أبن كثير، ١/ ٤٥١.

والنصارى مع إقرارهم بنبوة إبراهيم عليه السلام إلا أنهم لم يتبعوا دينه الذي جاء بالحنيفية القائمة على الوحدانية ونبذ الشركاء، وهم أشركوا بالله تعالى بادعائهم المسيح إله وابن الله وهذا ما يتناقض مع دعواهم الباطلة مع إبراهيم عليه السلام.

خامسًا: دعوى نفي الحق عمن سواهم:

تتمثل هذه الدعوى بادعاء كل فريق من أهل الكتاب أن صاحبه ليس على شيء.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصِدَرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصِدَىٰ لِيْسَتِ ٱلْهَوْدُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ [البقرة:١١٣].

أي: «معناه: ادعى كل فريق منهم أن صاحبه ليس على شي، وأنه أحق برحمة الله منه (۱)

قال ابن كثير: «وهذا القول يقتضى أن كلا من الطائفتين صدقت فيما رمت به الطائفة الأخرى، ولكن ظاهر سياق الآية يقتضى ذمهم فيما قالوه، مع علمهم بخلاف ذلك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَتَّلُونَ ٱلْكِئْبَ ﴾ أي: وهم يعلمون شريعة التوراة والإنجيل، كل منهما قد كانت مشروعة في وقت، ولكن تجاحدوا فيما بينهم عنادا وكفرا»(۲).

أما سبب نزول هذه الآية: «ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل الكتابين تنازعوا

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم لبعض، فأخبرنا الله أنه قد فعل هذا من كان قبلهم ممن لا يعلم، وأنهم فعلوا ذلك وهم يجدون في كتبهم كذبهم فيما يقولون لأن كتب الله تعالى يصدق بعضها بعضًا، فلذلك قال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَتْلُونَ الكِئب ﴾ فهؤلاء قالوه وهم يعلمون أنهم كاذبون لأن في كتاب كل واحد منهم الأمر بالإيمان بالآخر ويمن جاء به، و ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أمم كانت قبلهم، وقيل: عني بذلك الجاهلية في العرب، قالوا: ليس محمد علی شیء»(۳).

ويقول الواحدى: «نزلت في يهود أهل المدينة، ونصارى أهل نجران وذلك أن وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم، فقالت اليهود: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بعيسى والإنجيل، وقالت لهم النصاري: ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بموسى والتوراة، فأنزل الله تعالى هذه الآية»(٤).

قال الماتريدي: «فإن قيل:كيف عاتبهم بهذا القول، وقد أمر نبيه عليه الصلاة

⁽۱) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ۲/ ۷۲. (۲) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ۱/ ۳۸۲.

⁽٣) انظر: جامع البيان، الطبري، ٢/ ١٣/٥، الهداية إلى بلوغ النهاية، ١/٤٠٤.

⁽٤) أسباب النزول، الواحدي، ١/ ٣٩، العجاب في بيان الأسباب، ابن حجر العسقلاني،

والسلام في آية أخرى أن يقول لهم ذلك: ﴿ قُلْ يَتَأَهَّلُ ٱلْكِتَابِ لَسَتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَقَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَنَةَ ﴾[المائدة: ٢٨]؟ قيل: إنما أمر نبيه: أن يقول لهم: إنهم ليسوا على شيء إذا لم يقيموا التوراة، فأما إذا أقاموا التوراة وفيها أمر لهم بالإسلام، واتباع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فهم على شيء»(١).

قال قتادة: ﴿ ﴿ وَقَالَتِ ٱلْبَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَدَرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ قال: بلى، قد كانت أوائل النصارى على شيء، ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا، ﴿ وَقَالَتِ النَّصَدَرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ قال: بلى قد كانت أوائل اليهود على شيء، ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا ﴾ (٢).

وعلى هذا فإنهم يكونون على شيء حين يقيموا التوراة والإنجيل، ويطيعوا الله تعالى فيما أمرهم به في كتبهم وذلك باتباع النبي العربي صلى الله عليه وسلم، ومن لم يتبع منهم النبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه من قرآن فهو ليس على شيء.

ثم رد الله تعالى على هؤلاء اليهود والنصارى في الآية نفسها في قوله تعالى: ﴿ فَاللَّهُ يَحَكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيكَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة:١١٣].

أي: يريهم من يدخل الجنة عيانًا، ومن يدخل النار عيانًا (٣).

ورد الله تعالى أيضًا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿ قُلْ يَتَأَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَسَتُمُ عَلَى شَيْءٍ حَقَّى تُقِيمُوا التَّوْرَئةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَا أَنْزِلَ إِلَيْكُم مِن رَّيِكُم ﴾ [المائدة: ٦٨].

أي: وما كان يمكنهم إقامتها إلا بإقامة القرآن الكريم، واتباع النبي صلى الله عليه وسلم، لكنهم أبوا ذلك وكفروا فضربت عليهم الذلة كما قال الله تعالى: ﴿ مُثْرِيَتُ عَلَيْهُمُ الذِّلَةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا مِبْلِ مِنْ اللهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّهِ وَخَبْلِ مِنَ النَّهِ وَخُبْلِ مَن النَّهِ وَخُبْلِ مِنَ النَّهِ وَخُبْلِ مِنَ النَّهِ وَخُبْلِ مِنَ اللَّهِ وَمُثْرِبَتُ عَلَيْهِمُ النَّهُ اللهِ وَيَقْتُلُونَ إِنَّا مِنْ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْ الْمِنَا عَلَيْهِمُ كَانُوا يَكْفُرُونَ إِنَّا عَصُوا وَكُونَ إِنَّا مِنْ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْ إِنِيَا لَهُ مِنْ اللهِ عَمِوانَ (١١٢ عَموانَ ١١٤).

ويتضح مما تقدم بطلان دعوى أهل الكتاب حيث ادعى كل فريق منهم أنه على شيء، مع أنهم على علم من دينهم وهم يتلون التوراة والإنجيل، لكنهم حرفوا وبدلوا أصول دينهم وأضاعوا ما جاء في التوراة والإنجيل فصاروا ليس على شيء، ولو أرادوا الحق لكانوا صادقين في قولهم، إذ كل فريق منهم قد جحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو يعلم أنه نبي ويجده في كتابه، وأما الذين من قبلهم من الأمم السالفة قالوه وهم غير عالمين بذلك.

⁽١) تأويلات أهل السنة، الماتريدي، ١/ ٥٤٢.

⁽٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ٣٨٦.

⁽٣) مفاتيح الغيب، الرازي، ٤/ ١٠.

النصاري قبل الإسلام

لا شك أن المؤمنين الموحدين قبل الإسلام هم طائفة من الذين آمنوا بدين الله تعالى ورسله وأنبيائه جميعًا، وكتبه المنزلة عليهم سواءً أكانوا يهودا أم نصارى، والتزموا بشرائع أنبيائهم ورسلهم قولًا وعملًا، ثم آمنوا بما جاء ذكره في التوراة والإنجيل عن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وترقبوا قدومه ووجوب اتباعه بالإيمان به ونصرته، دون تكبر.

كما أخذ الميثاق بذلك على النبيين عليهم الصلاة والسلام في قوله تعالى: هُوَإِذَ أَخَذَ اللهُ مِيئَقَ النَّبِيِّنَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّن كَا اللهُ مُصَدِّقُ مُصَدِّقُ مُصَدِّقُ مُصَدِّقُ مُصَدِّقُ مُصَدِّقُ مُصَدِّقُ مَا مَعَكُمُ لَتُوْمِئُنَ بِهِ وَلَتَنصُرُنَهُ فَالَ ءَأَقَرَرَتُم مَا مَعَكُمُ لَتُومِئُنَ بِهِ وَلَتَنصُرُنَهُ فَالَ الْمَقرَرَاتُ مَا لَمَا مَعَكُمُ اللهُ اللهُ المَقرَرَانَ قَالَ اللهُ ال

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ الله عليه الميثاق: لئن بعث محمدًا وهو حي ليؤمنن به، ولينصرنه»(١).

وأول من رأى النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة من النصارى الراهب بحيرا، وكان

الرسول صلى الله عليه وسلم مع ركب أبي طالب وهو في تجارته إلى الشام، فمر على راهب في صومعته في بصرى، وهو الراهب بحيرا الذي كان ينتهي إليه علم النصرانية، وقد نصح الراهب بحيرا أبا طالب بأن يرجع برسول الله صلى الله عليه وسلم خوفا عليه من اليهود (٢).

ومن أبرز من كان مؤمنا بدين المسيح الصحيح قبل الإسلام من النصارى هم: نسطورا، وصاحب بصرى، وأسقف الشام، والجارود العبدي، وسلمان الفارسي، ونصارى الحبشة، وأساقفة نجران، وعداس (٣).

لذلك نرى أن القرآن امتدح طائفة من المؤمنين من أهل الكتاب من النصارى وبين صفاتهم وأخلاقهم وعقيدتهم الصحيحة، وبالمقابل ذم الذين كفروا منهم في آيات عديدة، وهذا ما سوف نبينه في المطالب الآتية:

أولًا: النصارى المؤمنون الموحدون:

وردت في القرآن الكريم آيات عديدة ومتنوعة عن أهل الكتاب بصيغة (أهل الكتاب)، والأصل أن المقصود بأهل الكتاب هم اليهود والنصارى كما بينا سابقا

⁽٢) سيرة ابن إسحاق، ص٧٣.

⁽٣) انظر: منحة القريب المجيب، عبد العزيز آل معمر، ٢/١٨١.

⁽١) فتح الباري، ابن حجر، ٦/ ٤٣٤.

لذلك يدخل النصارى في كل آية ذكر فيها أهل الكتاب، وإن وردت بعضها في الأحبار من اليهود إلا أن أغلب الآيات قصد بها اليهود والنصارى معًا.

قال تعالى: ﴿ اللَّذِينَ عَاتَيْنَكُمُ الْكِكْنَبَ يَتْلُونَهُ مُ الْكِكْنَبَ يَتْلُونَهُ مُ كَنَّ وَالْمِدَ ال

أي: «الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنون أهل الكتاب يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك يؤمنون بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين فأولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى»(١).

وقال تعالى: ﴿ لَيْسُواْ سَوَاهُ مِّنْ أَهْلِ
الْكِتَبِ أُمَّةٌ قَايِمَةٌ يَتْلُونَ مَايَتِ اللّهِ مَانَاةَ الْيَلِ
وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿ اللهِ يُؤْمِنُونَ مِايَّتِ اللّهِ وَالْيُوْمِ
وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿ يُؤْمِنُونَ مِاللّهِ وَالْيُوْمِ
الْاَحْدِ وَيَأْمُرُونَ مِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهُونَ عَنِ
الْكَخِدِ وَيَأْمُرُونَ مِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهُونَ عَنِ
الْكَخِدِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَةِ وَأُولَتَهِكَ
مِنَ الْمُمْلِحِينَ ﴿ فَلَى اللّهُ عَلِيمُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلِيمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلِيمُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلِيمُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّه

[آل عمران:١١٣-١١٥].

أي: «لا يستوي من تقدم ذكرهم بالذم من أهل الكتاب وهؤلاء الذين أسلموا، ولهذا قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَلَهُ أَي: ليسوا كلهم على حد سواء، بل منهم المؤمن ومنهم المجرم، ولهذا قال تعالى: ﴿مَنْ آهَلِ

اَلْكِتَبِ أُمَّةً قَآيِمَةً ﴾ أي: قائمة بأمر الله، مطيعة لشرعه متبعة نبي الله، فهي مستقيمة، ﴿يَتُلُونَ ءَايَلتِ اللّهِ ءَائلَة النّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ أي: يقومون الليل، ويكثرون التهجد، ويتلون القرآن في صلواتهم، ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالنّيْوِمِ الْآخِيرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُونِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكِرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْمُعْرُونِ وَيَنْهَوْنَ فِي الْمُعْرُونِ وَيَأْمُرُونَ فِي الْمُعْرُونِ وَيَنْهَوْنَ فِي الْمُعْرُونِ وَيَأْمُرُونَ فِي الْمُعْرُونِ وَيَنْهَوْنَ فِي الْمُعْرُونِ وَيَسْرِعُونَ فِي الْمُعْرُونِ وَيَنْهَوْنَ فِي الْمُعْرُونِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْمُعْرُونِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْمُعْرُونِ وَلَيْسَرِعُونَ فِي الْمُعْرُونِ وَلَيْسَرِعُونَ فِي الْمُعْرَاتِ وَلُونَاتِهِكَ مِنَ الصَّلْحِينَ ﴾ (١٧).

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ الْهَا الْكَنْبُ مِن مَلِيهِ مُعَالَى: ﴿ الَّذِينَ الْيَنْهُمُ الْكِنْبُ مِن مَلِيهِ هُم الْكِنْبُ مِن مَلِيهِ هُم الْكُنْ مِن اللّهِ اللّهُ الْحَقُ مِن زَيِّنَا إِنَّا كُنَا مِن قَبْلِهِ مُسلِينَ (اللهُ الْكَنَّ مِن قَبْلِهِ مُسلِينَ (اللهُ الْكَنَّ مِن قَبْلِهِ مُسلِينَ (اللهُ الْكَنَّ مِن قَبْلِهِ مُسلِينَ اللهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ ال

وفي الآية وجهان: «أحدهما: يعني الذين آتيناهم التوراة والإنجيل من قبل القرآن هم بالقرآن يؤمنون، قاله يحيى بن سلام، والثاني: الذي آتيناهم التوراة والإنجيل من قبل محمد هم بمحمد يؤمنون، قاله ابن شجرة» (٣).

وفيمن نزلت هذه الآيات قولان:

«أحدهما: نزلت في عبد الله بن سلام، وتميم الداري، والجارود العبدي، وسلمان الفارسي، أسلموا فنزلت فيهم هذه الآية والتي بعدها، قاله قتادة.

⁽۱) الكشاف، الزمخشري، ١٨٣/١.

⁽٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/ ١٠٥.

⁽٣) النكت والعيون، المأوردي، ٤/ ٢٥٧.

الثاني: أنها نزلت في أربعين رجلًا من أهل الإنجيل كانوا مؤمنين بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه، اثنان وثلاثون رجلًا من الحبشة أقبلوا مع جعفر بن أبي طالب وقت قدومه وثمانية قدموا من الشام، منهم بحيرا، وأبرهة، والأشراف، وعامر، وأيمن، وإدريس، ونافع، فأنزل الله فيهم هذه الآية والتي بعدها إلى قوله: ﴿ أُولَئِكَ هَلَوْنَ لَجَرَهُم مُ مَّرَتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ قال قتادة: بإيمانهم بالكتاب الأول وإيمانهم بالكتاب الأول وإيمانهم بالكتاب الأحر» (۱).

وقوله: ﴿ ﴿ إِنَّ النِّينَ أُوتُوا الْمِلْمَ مِن قَبْلِهِ ﴾ أي: من قبل نزول القرآن وخروج النبي صلى الله عليه وسلم، وهم مؤمنو أهل الكتاب، في قول ابن جريج: معنى قول ابن جريج: معنى ﴿ إِذَا يُشْلَى عَلَيْمٍ ﴾ كتابهم، وقيل: القرآن، ﴿ يَغِرُونَ لِلْأَذَقَانِ سُجِّدًا ﴾ قيل: هم قوم من ولد إسماعيل تمسكوا بدينهم إلى أن بعث الله تعالى النبي عليه السلام، منهم زيد بن عمرو تعالى النبي عليه السلام، منهم زيد بن عمرو

بن نفیل، وورقة بن نوفل $(Y)^{(Y)}$.

ويتضح من الآيات الكريمة أن القرآن الكريم أثنى على المؤمنين الموحدين من أهل الكتاب بما فيهم النصارى وهذا معناه أنهم ليسوا جميعا ضالين، بل منهم من يؤمن بالله تعالى وملائكته ورسله وكتبه.

ثانيًا: المبدلون لدينهم وعاقبتهم:

هم طائفة من بني إسرائيل سموا أنفسهم نصارى، أخذ الله تعالى الميثاق عليهم أن يؤمنوا بعيسى عليه السلام لأنه جاء مكملا ومتتما لرسالة موسى عليه السلام؛ فهم أبناء أمة واحدة، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِسَى آبَنُ مُرْبَمَ يَبَنِ وَاسْرُه مِلَ إِنِّ رَسُولُ اللهِ إِنَّكُم مُصَدِقًالِما بَيْنَ مَرْبَعُ مِنَ النَّوْرَادِة ﴾ [الصف: ٢].

إلا أنهم نقضوا الميثاق ونسوا ما جاءهم به رسولهم وأهملوه كما قال تعالى حاكيًا عنهم: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَكَوَىٰ عَنهم: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَكَوَىٰ أَخَذَنَا مِيثَفَهُم فَنسُوا حَظًا مِّمَا دُكِرُوا بِدِه فَأَغَرَيْنَا بَيْنَهُم الْعَدَاوَة وَالْبَغْضَاة إِلَى يَوْمِ الْقَاعِدَة وَسَوَفَ يُنَتِثُهُمُ الله بِمَا كَانُوا يَضَمَعُونَ الله بِمَا كَانُوا يَضَمَعُونَ الله إلى المائدة: ١٤].

أي: «ومن الذين ادعوا لأنفسهم أنهم نصارى يتابعون المسيح ابن مريم عليه السلام، وليسوا كذلك، أخذنا عليهم العهود والمواثيق على متابعة الرسول ومناصرته

⁽٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٠/ ٣٤٠.

⁽١) المصدر السابق، ٤/ ٢٥٧.

ليسوا على منهاج الذين اتبعوا المسيح

في زمانه من الحواريين وهم الذين كانوا

وإلى هذا المعنى أشار بعض المفسرين

قال ابن عاشور: «وعبر عن النصاري

تسجيلا عليهم بأن اسم دينهم مشير

إلى أصل من أصوله، وهو أن يكون أتباعه

أنصارا لما يأمر به الله، ﴿ كُمَّا قَالَ عِيسَى آبَنُ

مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِيّ إِلَى اللَّهِ قَالَ ٱلْمُوَارِثُونَ خَنْ

ومن جملة ذلك أن ينصروا القائم بالدين

بعد عيسى من أتباعه، مثل بولس وبطرس

وغيرهما من دعاة الهدى وأعظم من ذلك كله أن ينصروا النبي المبشر به في التوراة

والإنجيل الذي يجيء بعد عيسى قبل

منتهى العالم ويخلص الناس من الضلال،

فجميع أتباع الرسل قد لزمهم ما التزمه

أنبياؤهم وبخاصة النصارى، فهذا اللقب

وهو النصاري حجة عليهم قائمة بهم متلبسة

بالذين قالوا إنا نصاري هنا وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَكَ أَقْرَبَهُم مُّودَّةً لِلَّذِينَ عَامَنُوا

ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرَىٰ ﴾ [المائدة: ٨٢].

نصاري في الحقيقة^(٣).

في تفسيرهم هذه الآية (٤).

أَنْصَارُ ٱللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤].

ومؤازرته واقتفاء آثاره، والإيمان بكل نبي العهود.

ولهذا قال: ﴿فَنَسُوا حَظَّا مِّمَّا ذُحِرُوا بِهِ فَأَغْرَقِنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَاةَ إِلَّى يَوْمِ ٱلْقِيكَمَةِ ﴾ أي: فألقينا بينهم العداوة والتباغض لبعضهم بعضا، ولا يزالون كذلك إلى قيام الساعة، وكذلك طوائف النصاري على اختلاف أجناسهم لا يزالون متباغضين متعادين، يكفر بعضهم بعضا، ويلعن بعضهم بعضا؛ فكل فرقة تحرم الأخرى ولا تدعها تلج معبدها، فالملكية تكفر اليعقوبية، وكذلك الآخرون، وكذلك النسطورية والأريوسية، كل طائفة تكفر الأخرى في هذه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد»(١).

قال قتادة رحمه الله: «نسوا كتاب الله بين أظهرهم، وعهد الله الذي عهده إليهم، وأمر الله الذي أمرهم به»(^{٢)}.

والمتأمل في الآية الكريمة يرى أن الله تعالى تحدث عن النصارى بقولهم: إنا نصارى ولم يقل من النصارى.

قال الحسن البصري: «إنما قال: قالوا: إنا نصارى ولم يقل من النصارى ليدل على أنهم ابتدعوا النصرانية وتسموا بها وأنهم

⁽٣) انظر: أحكام القرآن، الجصاص، ٤٢/٤.

⁽٤) انظر: الكشاف، الزمخشري، ٢١٦/١، مفاتيح الغيب، الرازي، ١١/ ٣٢٦، الجامع لأحكَّام القرآن، القرطبي، ١١٧/٦، مداركُ التنزيل، النسفي، ١/ ٤٣٥.

يرسله الله إلى أهل الأرض، أي: ففعلوا كما فعل اليهود، خالفوا المواثيق ونقضوا

⁽١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/ ٦٧.

⁽٢) جامع البيان، الطبري، ١٠/ ١٣٥.

بجماعتهم كلها»(١).

ويتضح مما مضى أن طائفة من بني إسرائيل يدعون أنهم نصارى أخذوا العهد من الله تعالى أن يؤدوا ما كلفهم الله تعالى به من متابعة رسلهم، ومن ثم اتباع ما جاء في التوراة والإنجيل من بشارات بقدوم النبي صلى الله عليه وسلم ومناصرته، فنسوا ما أمرهم الله به ونقضوا الميثاق الذي أخذوه فكانت عاقبتهم أن ألقى الله تعالى عليهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة جزاء نقضهم ذلك الميثاق.

النصاري بعد الإسلام

الإسلام هو آخر الديانات السماوية الذي جاء مكملًا لما قبله من الديانة اليهودية والنصرانية، كما أن عيسى عليه السلام جاء ليكمل دين موسى عليه السلام فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم جاء ليتم الدين كله، فكلها دين واحد تدعو إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، إلا أن الفرق بينها أن الإسلام ناسخ لما قبله من الشرائع لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِينَ عِندَاللَهِ الْمُولَى الدِينَ عِندَاللَهِ اللهِ الله عليه عن الشرائع لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِينَ عِندَاللَهِ الْمُولَى عِندَاللَهِ اللهِ اللهِ الله عليه عن الشرائع لقوله عمران ١٩٠].

لذلك فإن علماء أهل الكتاب من النصارى على علم بحقائق هذا الدين من خلال التوراة والإنجيل غير المحرفة التي جاء فيها ذكر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وبشارة قدومه واسمه وصفاته، بخلاف الذين لا يعلمون بذلك من الأمم السالفة، فمن أهل الكتاب من النصارى من صدق وآمن واتبع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، ومدحهم الله تعالى في القرآن الكريم في آيات عديدة وبين ثواب أجر إيمانهم، ومنهم من ذمهم الله تعالى لأنهم إيمانهم، ومنهم من ذمهم الله تعالى لأنهم على ذلك وهذا ما سوف نبينه في النقاط على ذلك وهذا ما سوف نبينه في النقاط الآتية:

⁽١) التحرير والتنوير، ٦/٦٦.

أولًا: المؤمنون بالنبي صلى الله عليه emLa:

مدح الله تعالى المؤمنين بالله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام من أهل الكتاب -ومنهم النصاري- وأثني عليهم في آبات عديدة.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَلْشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَنتِ ٱللَّهِ ثَمَنُا قَلِيلًا أُوْلَتِهِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِهِمْ إِن اللهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ اللهُ [آل

قال ابن كثير: «يخبر تعالى عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الإيمان، ويما أنزل على محمد مع ما هم يؤمنون به من الكتب المتقدمة، وأنهم خاشعون لله، أي: مطيعون له خاضعون متذللون بين يديه، ﴿ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَنتِ اللَّهِ ثَمَنُ اقلِيلًا ﴾ أي: لا يكتمون بأيديهم من البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم، وذكر صفته ونعته ومبعثه وصفة أمته، وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم، سواء كانوا هودًا أو نصاری»^(۱).

قال الشوكاني رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾: «هذه الجملة سيقت لبيان أن بعض

أهل الكتاب لهم حظ من الدين، وليسوا كسائرهم في فضائحهم التي حكاها الله عنهم فيما سبق، فإن هذا البعض يجمعون بين الإيمان بالله ويما أنزل الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزله على أنبيائهم حال كونهم خاشعين لله لا يشترون أي: يستبدلون بآيات الله ثمنا قليلا بالتحريف والتبديل، كما يفعله سائرهم، بل يحكون كتب الله سبحانه كما هي، والإشارة بقوله: ﴿ أُوْلَيِّكَ ﴾ إلى هذه الطائفة الصالحة من أهل الكتاب، من حيث اتصافهم بهذه الصفات الحميدة لهم أجرهم الذي وعد الله سبحانه به بقوله: ﴿ أُوْلَيْكَ يُؤْتُونَ لَجُرَهُم مَّرَّ نَمِّن ﴾ [القصص: ٤٥] (٢).

وأما سبب نزول هذه الآية فقد قال ابن عباس: (نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة، ومعناه بالعربية عطية، وذلك إنه لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذى مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم النجاشي، فخرج إلى البقيع وكشف له إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي فصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له)(^^.

⁽۱) جامع البيان، الطبري، ٢/ ١٩٣.

⁽۲) فتح القدير، الشوكاني، ١/ ٤٧٥.(۳) لباب التأويل، الخازن، ١/ ٣٣٥.

وقال تعالى: ﴿ لَهُ لَتَجِدَنَّ أَشَدُ النَّاسِ عَدَّوَةً لِلَّذِينَ اَلْمَنُواْ الْمَيْهُودَ وَالَّذِينَ اَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَ اللَّذِينَ الْمَنُواْ الْمَيْهُودَ وَالَّذِينَ الْمَنُواْ وَلَتَجِدَنَ الْمَنُواْ الْمَيْهُم مُّودَةً لِلَّذِينَ المَنُواْ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَكَوَىٰ ذَلِكَ إِلَى مِنْهُم قَيْمِينِينِ وَرُهْبَكَانًا وَأَنَهُمْ لَا مِنْهُمْ قِينِيسِينِ وَرُهْبَكَانًا وَأَنَهُمْ لَا مِنْهُمْ أَنْهُمُ وَلَا سَمِعُواْ مَا أَنْزِلَ إِلَى مَنْ الْمَنْ فَيَ الْمُؤْمِنُ وَإِنَّا عَامَنًا فَاكْلَبْنَ مَعَ مَنَا اللَّهُ مِنَا اللَّهُ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِي وَنَظُمَعُ أَن يُدْخِلُنَا رَبُنًا مَا قَالُواْ جَنَاتِ مِنَ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَاتِ مِنَ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَاتِ مِنَ الْمُؤْمِنَ اللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَاتِ جَوْلِينَ فِيها وَوَالِكَ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَاتِ جَمَا اللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَاتِ جَرَاهُ الْمُنْعِينَ فَي مَا قَالُواْ جَنَاتِ جَمَا اللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَاتِ جَرَاهُ اللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَاتِ جَمَا اللَّهُ عِمَا وَوَالِكَ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ عِمَا قَالُواْ جَنَاتِ جَمَا أَلُوا الْمَنْ وَمِنْ الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِنَ اللَّهُ عِمَا اللَّهُ عِمَا قَالُواْ جَنَاتِ مَنَا الْمُؤْمِنُ اللَّهُ عِمَا اللَّهُ عِمَا اللَّهُ عِمَا اللَّهُ عِمَا اللَّهُ عِمَا اللَّهُ عِمَا عَلَيْهُ وَالْمُعُونَ الْمُعْتَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عِمَا عَلَالُوا جَنَاتِ اللَّهُ عَلَيْهُمُ اللَّهُ عِمَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الْمُؤْمِلُ اللَّهُ عَلَيْكِ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِلُونِ الْكَالِكِ الْمُؤْمِلُونِ اللَّهُ الْمُعْمِلُونِ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ اللَّهُ الْمُؤْمُولُ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمُ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمُولُونَ الْمُؤْمُولُونَ الْمُؤْمُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمُونُ الْمُؤْمِ

وصف الله تعالى لين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم إلى الإسلام، وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين، بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين أشركوا، وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بأن منهم قسيسين ورهبانا أي: علماء وعبادا وأنهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولاكبر فيهم، واليهود على خلاف ذلك(۱).

وأما سبب نزول هذه الآيات الكريمة فقد قال الواحدي: «قدم جعفر بن أبي طالب من الحبشة هو وأصحابه، ومعهم سبعون رجلا،

بعثهم النجاشي وفدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، عليهم ثياب الصوف، اثنان وستون من الحبشة، وثمانية من أهل الشام، وهم: بحيرا الراهب، وأبرهة، وإدريس، وأشرف، وتمام، وقيتم، ودريد، وأيمن، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة «يس» إلى آخرها، فبكوا حين سمعوا القرآن، وآمنوا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآيات)»(٢).

ويحكى عن النجاشي رضي الله عنه أنه قال لجعفر بن أبى طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى الحبشة والمشركون لعنوا وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عنتهم عنده: هل في كتابكم ذكر مريم؟ قال جعفر: فيه سورة تنسب إليها، فقرأها إلى قوله:

وقرأ سورة طه إلى قوله: ﴿ وَهَلْ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّالَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّا

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَنَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيّ الْأُمْرِيّ اللَّذِي يَجِدُونَهُ، مَكْنُوبًا عِندَهُمْ فِي النَّوْرَئِنةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ فِي النَّوْرَئِنةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَجْنَهُمْ عَنِ الْمُنكِرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطّيبَئِتِ وَيُحْرَبُ لَهُمُ الطّيبَئِتِ وَيُحْرَبُ وَيَعْمَمُ عَنَاهُمُ عَنْهُمْ وَيَعْمَمُ عَنَاهُمْ عَنْهُمْ وَيَعْمَمُ عَنَاهُمْ عَنْهُمْ عَنْهُمْ وَيَعْمَمُ عَنْهُمْ عَنْهُمْ عَنْهُمْ وَيَعْمَمُ عَنْهُمْ وَيَعْمَمُ عَنْهُمْ الْخَنْبُونَ وَيَعْمَمُ عَنْهُمْ وَيَعْمَمُ عَنْهُمْ

⁽١) انظر: الكشاف، الزمخشري، ١/ ٦٦٨.



⁽٢) أسباب النزول لواحدي، ص٢٠٦.

⁽٣) الكشاف، الزمخشري، ١/ ٦٦٩.

إِضْرَهُمْ وَالْأَغْلَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ مَامَوُا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَكُرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ النُّورَ اللَّهِ النَّورَ اللَّهِ اللَّهُ الْمُغَلِّحُونَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللْمُلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّلِيْ

ذكر الإمام فخر الدين الرازي في معنى هذه التبعية في الآية وجهين:

«أحدهما: أن المراد بذلك أن يتبعوه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا صفته في التوراة إذ لا يجوز أن يتبعوه في شرائعه قبل أن يبعث إلى الخلق وفي قوله: ﴿وَٱلْإِنْجِيلِ ﴾ أن المراد وسيجدونه مكتوبا في الإنجيل؛ لأن من المحال أن يجده فيه قبل ما أنزل الله الإنجيل.

الوجه الثاني: إن المراد من لحق من بني إسرائيل زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين تعالى أن هؤلاء اللاحقين لا يكتب لهم رحمة الآخرة إلا إذا اتبعوه، قال: وهذا القول أقرب لأن اتباعه قبل أن يبعث لا يمكن فبين بهذه الآية أن هذه الرحمة لا يفوز بها من بني إسرائيل إلا من اتقى وآتى الزكاة وآمن بآيات الله في زمن موسى عليه الصلاة والسلام.

ومن كانت هذه صفته في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم في شرائعه فعلى هذين الوجهين يكون المراد بقوله الذين يتبعون الرسول من بني إسرائيل خاصة»(١).

ويقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآيات السابقة: «والمشهور عن كثير من المفسرين كما ذكره محمد بن إسحاق وغيره، ورواه العوفي عن ابن عباس، أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة بن سعية وغيرهم» (٢).

وأما ما ورد في السنة النبوية المطهرة في شأن أولئك المؤمنين من أهل الكتاب ما صح بالحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: (رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه وصدقه، فله أجران)(").

وفي هذا الحديث حثٌ لأهل الكتاب على اتباع الحق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن الإيمان لا يتنافى مع ما جاء به النبي عيسى عليه السلام، مع تضاعف مقدار الأجر والثواب لمن آمن من أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

ويتضح مما مضى في الآيات الكريمة مكانة المؤمنين من النصارى بالقرآن

⁽۱) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٥/ ٣٨٠.

⁽٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/ ١٠٥.

⁽٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتاب، ٤٠/ ٢٥، رقم ٢٠١١، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ١/ ١٣٤، رقم ١٥٤.

الكريم، ومقدار أجرهم عند الله تعالى، وبينت الآيات الكريمة أن أهل الكتاب من النصارى ليسوا شرا كلهم، بل منهم من آمن بكتابه وبالقرآن ممن أدرك شريعة الإسلام، أو كان على استقامة فمات قبل أن يدركها، ومنهم قسيسون ورهبان فيهم تواضع لا يتكبرون على الحق، تفيض أعينهم من الدمع مما عرفوا من الحق.

ثانيًا: المحاربون للإسلام:

لا يخفى على أحد أن أعداء المسلمين من النصارى وغيرهم لا يفترون عن الكيد لدين الله تعالى بكل ما أوتوا من قوة وبكل ما لديهم من سبل ونراهم لا يتوانون عن الهجوم على دين الله كلما سنحت لهم الفرصة لذلك، وما ذلك إلا لصد المسلمين عن دينهم، ولعل ذلك واضح في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنك ٱلْيَهُودُ وَلا ٱلنَّصَرَىٰ حَقَّ تَعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنك ٱلْيَهُودُ وَلا ٱلنَّصَرَىٰ حَقَّ تَعالى: ﴿ وَلَا ٱلنَّصَرَىٰ حَقَّ المَهُودُ وَلا ٱلنَّصَرَىٰ حَقَّ تَعَالى: ﴿ وَلَا ٱلنَّصَرَىٰ حَقَّ المَهُودُ وَلا ٱلنَّصَرَىٰ حَقَّ المَهُودُ وَلا ٱلنَّصَرَىٰ حَقَّ المَهُودُ وَلا ٱلنَّصَرَىٰ حَقَّ المَهُودُ وَلا ٱلنَّصَرَىٰ المَهُودُ وَلا ٱلنَّصَرَىٰ المَهُودُ وَلا ٱلنَّصَرَىٰ المَقَىٰ المَهُودُ وَلا ٱلنَّصَرَىٰ المَهُودُ وَلا ٱلنَّصَرَىٰ المَهُودُ وَلا ٱلنَّصَرَىٰ اللهُ عَلَيْهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

فالغاية هي الصدعن دين الله تعالى.

ومن جملة المحاربين للإسلام هم النصارى الذين لم يؤمنوا برسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وناصبوها العداء علناً أو سرًا وسيتبين هذا من خلال ما يأتي:

١. عدم حب الخير للمسلمين.

ذكر الله تعالى في محكم كتابه عدم محبة طائفة من أهل الكتاب من النصارى

للمسلمين في قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَا مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَا مَا مَنْ الْمُشْرِكِينَ اللّهُ الْمُشْرِكِينِ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الل

أي: ﴿ مَنَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْمَدِينة الْمَلِ ٱلْكِنْبِ ﴾ يعني: يهود أهل المدينة ونصارى أهل نجران، ﴿ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ يعني: مشركي العرب ﴿ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْكُم مِن أَلوحي وشرائع الإسلام لأنهم رسولكم من الوحي وشرائع الإسلام لأنهم كانوا كفارا، فيحبون أن يكون الناس كلهم كفارا مثلهم، وهذا كما قال في آية أخرى: ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكُفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾

فأخبر الله تعالى أن الأمر ليس على مرادهم حيث قال: ﴿وَاللّهُ يَخْنَصُ بِرَحْمَتِهِ، مَن يَشَاءُ ﴾ أي: يختار للنبوة من يشاء، من كان أهلا لذلك ويكرم بدينه الإسلام من يشاء، ﴿وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ أي: ذو المن العظيم لمن اختصه بالنبوة والإسلام»(١).

وفي الآية الكريمة دلالة واضحة على وجوب الحذر من أهل الكتاب ومنهم النصارى؛ ما دام كثير منهم يكرهون أن ينزل الخير على المسلمين من ربهم، لذا يجب

⁽١) تفسير السمرقندي، ١/ ٨١.

على المسلمين الحذر منهم وعدم الاستماع لأقوالهم مما يأتونهم به على وجه النصيحة؛ لأن الله تعالى عالم بما أسروا وإن أظهروا بألسنتهم خلاف ذلك، وينبه تعالى على ما أنعم به على المؤمنين من الشرع التام الكامل، الذي شرعه لنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، حيث أن أعظم الخير من الله تعالى أنه أرسل النبي صلى الله عليه وسلم من ولد إسماعيل مبشرا ونذيرا وهاديا للعالمين.

وقد رد الله تعالى كراهيتهم باختيار نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام على مقتضى حكمته وإرادته فقال تعالى: ﴿وَاللّهُ يُغْنَصُّ بِرَحْمَتِهِ، مَن يَشَاءً وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْمُعْلِيمِ ﴿ اللّهِ اللّهُ الل

٢. تمنيهم ردة المسلمين.

يخبر الله تعالى في بعض آياته الكريمة أن طائفة من أهل الكتاب تسعى أن تصد المسلمين عن دينهم وتتمنى ذلك، رغم علمهم بالحق.

قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنَ أَهْلِ ٱلْكِنَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّالًا حَسَدًا مِنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ [البقرة: ١٠٩].

قال الإمام الرازي: «فالمراد أنهم كانوا يريدون رجوع المؤمنين عن الإيمان من بعد ما تبين لهم أن الإيمان صواب وحق،

والعالم بأن غيره على حق لا يجوز أن يريد رده عنه إلا بشبهة يلقيها إليه، لأن المحق لا يعدل عن الحق إلا بشبهة والشبهة ضربان، أحدهما: ما يتصل بالدنيا وهو أن يقال لهم: قد علمتم ما نزل بكم من إخراجكم من دياركم وضيق الأمر عليكم واستمرار المخافة بكم، فاتركوا الإيمان الذي ساقكم إلى هذه الأشياء، والثاني: في باب الدين: بطرح الشبه في المعجزات أو تحريف ما في التوراة» (١).

وقوله تعالى: ﴿ كُفّارًا حَسَدًا مِنْ عِندِ الْفُسِهِم مِنْ بَعِدِ مَا لَبَيّنَ لَهُمُ الْحَقُ ﴾ أي: «من بعد ما أضاء لهم الحق لم يجهلوا منه شيئا، ولكن الحسد حملهم على الجحود، فعيرهم ووبخهم ولامهم أشد الملامة، وشرع لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ما هم عليه من التصديق والإيمان والإقرار بما أنزل عليهم وما أنزل من قبلهم، بكرامته وثوابه الجزيل ومعونته لهم (٢).

ومعلوم سبب حسد أهل الكتاب لأنهم كانوا من قبل يقرؤون في كتبهم مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وحال نبوته وكانوا يوعدون العرب بالقتل عند مبعثه لأنهم زعموا أنهم لا يتبعونه وكانوا يظنون أنه يكون من بني إسرائيل فلما بعثه

⁽١) مفاتيح الغيب، الرازي، ٣/ ٢٥١.

⁽٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ٣٨٣.

الله تعالى من ولد إسماعيل حسدوا العرب وأظهروا الكفر به وجحدوا ما عرفوه، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِنَابُ مِّنْ عِندِ اللهِ مُصَدِقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْمِن قَبْلُ يَسْتَغْيَحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفُرُوا فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا عَلَى الْذِينَ كَفُرُوا فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا كَلَ اللهِ عَلَى الْكَنفِرِينَ اللهِ عَلَى الْكَنفِرِينَ اللهِ اللهِ عَلَى الْكَنفِرِينَ اللهِ اللهِ عَلَى الْكَنفِرِينَ اللهُ اللهِ عَلَى الْكَنفِرِينَ اللهُ اللهِ عَلَى اللهِ عَلْمُ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَهُ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَيْ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَيْ عَلَى اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلْهِ عَلَى اللهِ عَلَى

ويحذر الله تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طرائق الكفار من أهل الكتاب ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين، مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم، ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والعفو والاحتمال، حتى يأتي أمر الله من النصر والفتح (٢).

وأما سبب نزول هذه الآية فقد قال الواحدي: «قال ابن عباس: نزلت في نفر من اليهود قالوا للمسلمين بعد وقعة أحد: ألم تروا إلى ما أصابكم؟ لو كنتم على الحق ما هزمتم، فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم» (٣). وقيل أيضًا: أن نفرًا من أهل الكتاب

وقيل أيضًا: أن نفرًا من أهل الكتاب قالوا لحذيفة بن اليمان، وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد: لو كنتم على الحق ما هربتم فارجعا إلى ديننا فنحن أهدى سبيلا منكم، فقال عمار بن ياسر: كيف نقض العهد فيكم

قالوا شديد قال: إني عاهدت أن لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت، قالت اليهود، أما هذا فقد صبأ، وقال حذيفة: أما أنا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخوانا، ثم إنهما أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بذلك، فقال: أصبتما الخير وأفلحتما فأنزل الله تعالى هذه الآرة»(٤).

ويتضح مما تقدم عداوة أهل الكتاب وحقدهم للمسلمين وتمنيهم رجوعهم عن الإسلام وذلك بسبب كراهيتهم أن يتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم لكونه من أبناء إسماعيل عليه السلام، وودوا أن يكون من بني إسرائيل لذلك قالوا للصحابة ارجعوا إلى ديننا فهو خير من دينكم وهذا دليل على تعصبهم وجهلهم بالدين.

٣. كتمانهم صفة الرسول.

يعلم كثير من علماء أهل الكتاب أن الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق ومع ذلك فإنهم يكتمونه، وقد أخبر الله تعالى عن ذلك في آيات عديدة.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَكُهُمُ ٱلْكِئَابَ يَعْرِفُونَكُ كُمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكُنُمُونَ ٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿
الْبَقَرة: ١٤٦].

⁽١) انظر: أحكام القرآن، الجصاص، ٣/ ١٧١.

⁽٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٨٢/١.

⁽٣) العجاب في بيان الأسباب، ١/٥٥٪.

⁽٤) انظر: لباب التأويل، الخازن، ١/ ٧٠.

وقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَكُهُ ﴾، أي: «يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون أبناءهم لا يشتبه عليهم أبناؤهم وأبناء غيرهم، وعن عمر رضى الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنا أعلم به مني بابني، قال: ولم؟ قال: لأني لست أشك في محمد أنه نبي، فأما ولدي، فلعل والدته خانت، فقبل عمر رأسه»(۱).

وقيل في معنى الآية أيضًا: يعرفون أن البيت الحرام هو القبلة وهو قول قتادة وابن عباس رضي الله عنهم وغيرهم (٢).

وقال تعالى: ﴿يَتَأَهْلَ ٱلْكِتَنْ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَطِلِ وَتَكُنُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَمْلَمُونَ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ال

أي: «يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله بما نطقت به التوراة والإنجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنتم تشهدون أنها آيات الله أو بالقرآن وأنتم تشهدون نعته في الكتابين أو تعلمون بالمعجزات أنه حق»(").

قال الطبري: «والحق الذي كتموه ما في كتبهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم

ومبعثه ونبوته» (^{٤)}.

أي: «كان ذلك أمرًا منهم إياهم بتصديق النبي صلى الله عليه وسلم في نبوته وما جاء به من عند الله، وأنه حق في الظاهر من غير تصديقه في ذلك بالعزم واعتقاد القلوب على ذلك، وبالكفر به وجحود ذلك كله في آخره»(٥).

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِنَابُ مِّنَ عِنْ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِنَابُ مِّنَ عِنْ اللّهِ مُصَدِقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَقْتِحُونَ عَلَى ٱلّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا حَكَفُوا عَلَى ٱلْكَنفِرِينَ عَرَفُوا حِمْدُوا بِمِّهِ فَلَمَّنَهُ ٱللّهِ عَلَى ٱلْكَنفِرِينَ

🦝 🏘 [البقرة:٨٩].

ومعنى الآية: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِنَنَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ يعني: القرآن مصدق لما معهم يعني

⁽٤) جامع البيان، الطبري، ٦/٥٠٥.

⁽٥) جامع البيان، الطبري، ٦/٧٠٥.

⁽١) الكشاف، الزمخشري، ١/٤٠٢.

⁽٢) إنظر: جامع البيان، الطبري، ٣/ ١٨٧ -١٨٨.

⁽٣) أنوار التنزيل، البيضاوي، ٢٢/٢.

التوراة وهذا التصديق في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن نبوته وصفته ثابتة في التوراة وكانوا يعنى: -اليهود- من قبل أي: من قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون أي: يستنصرون به على الذين كفروا يعنى: مشركى العرب وذلك أنهم كانوا إذا أحزنهم أمرٌ ودهمهم عدوٌ يقولون: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة فكانوا ينصرون، وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم فلما جاءهم ما عرفوا أي: الذي عرفوه يعنى: محمدا صلى الله عليه وسلم عرفوا نعته وصفته وأنه من غير بني إسرائيل كفروا به أي: جحدوه وأنكروه بغيا وحسدا فلعنة الله على الكافرين»(١).

قال ابن عباس: «يستنصرون بخروج محمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب – يعني: بذلك أهل الكتاب – فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ورأوه من غيرهم، كفروا به وحسدوه»(٢).

وقد وردت أحاديث في السنة النبوية المطهرة تبين معرفة أهل الكتاب ببعثة نبي آخر الزمان وصفاته وأتباعه، ومن ذلك ما

قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله فيفتح بها أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا) (٣).

وعن عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب في الإنجيل: لا فظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا يجزئ بالسيئة مثلها، بل يعفو ويصفح)(٤).

والمتأمل في كتب السير والتاريخ يجد الكثير من الشواهد والأدلة على ذلك (٥).

ويتضح مما تقدم أن نعت النبي صلى

⁽١) لباب التأويل، الخازن، ١/ ٢٠.

⁽٢) جامع البيان، الطبري، ٢/ ٣٣٤.

⁽۳) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا)، ۲/ ۱۳۵، رقم ٤٨٣٨.

⁽٤) أخرجه البخاري بنفس المعنى في المصدر السابق.

وانظر: دلائل النبوة، البيهقي، ١/ ٣٧٨-

⁽۵) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ۱/۳۱۳، البداية والنهاية، ابن كثير، ۲/۲۱، تاريخ دمشق، ابن عساكر، ۱/۳۳۷.

الله عليه وسلم موجود في الكتب السابقة، وأن طائفة من بني إسرائيل من النصارى قد جحدوا ما جاءهم به الرسول الذي انتظروه وبشروا به، ومع ذلك أخذهم الكبر رغم أنهم موقنون بمجيء الرسول الجديد وأوصافه موجودة عندهم في الإنجيل إلا أنهم رفضوا أن يؤمنوا فاستحقوا بذلك لعنة الله تعالى.

٤. سعيهم في إضلال المسلمين.

بعد أن بين الله تعالى في الآيات السابقة محاولة بعض أهل الكتاب رد المسلمين عن دينهم، أخبر في آيات أخرى عن محاولتهم إضلال المسلمين في دينهم.

قال تعالى: ﴿ وَدَّت ظُآهِ هَ أُمَّ لِهُ أَمَّ لِهُ الْمَالِ اللهُ عَالَمُ اللهُ أَنْفُسَهُمْ الْكِتَابِ أَوْ يُغِيلُونَكَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يُضِلُونَكَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَكَ اللهُ اللهُ [آل عمران:٦٩].

قال الطبري: «يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿ وَدَّت ﴾ ، أي: تمنت، ﴿ مُلْآبِعَةً ﴾ ، يعني جماعة من ﴿ آهْلِ ٱلْكِتَبِ ﴾ ، وهم أهل التوراة من اليهود، وأهل الإنجيل من النصارى لو ﴿ يُمِنْلُونَكُ ﴾ ، يقولون: لو يصدونكم أيها المؤمنون عن الإسلام، ويردونكم عنه إلى ما هم عليه من الكفر، فيهلكونكم بذلك » (١).

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾، وهو يحتمل وجوها منها: إهلاكهم أنفسهم باستحقاق العقاب على

ومنها إخراجهم أنفسهم عن معرفة الهدى والحق لأن الذاهب عن الاهتداء يوصف بأنه ضال، ومنها أنهم لما اجتهدوا في إضلال المؤمنين ثم إن المؤمنين لم يلتفتوا إليهم فهم قد صاروا خائبين خاسرين، حيث اعتقدوا شيئا ولاح لهم أن الأمر بخلاف ما تصوروه، ثم قال تعالى:

﴿وَمَا يَشَعُرُونَ ﴾، أي: ما يعلمون أن هذا يضرهم ولا يضر المؤمنين (٢٠).

وفي بيان بعض شبهات طائفة من أهل الكتاب في إضلال المسلمين يقول الإمام الرازي: يجتهدون في إضلال من آمن بالرسول عليه السلام بإلقاء الشبهات كقولهم: إن محمدا عليه الصلاة والسلام مقر بموسى وعيسى ويدعي لنفسه النبوة، وأيضا إن موسى عليه السلام أخبر في التوراة بأن شرعه لا يزول، وأيضا القول بالنسخ يفضي إلى البداء، والغرض منه تنبيه المؤمنين على أن لا يغتروا بكلام اليهود، ونظير قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَدَّ البقرة بَيْمُ مِنْ المَا الم

قصدهم إضلال الغير وهو كقوله تعالى: ﴿ وَمَا ظُلَمُونَا وَلَكِن كَانُوۤا أَنفُسَهُم يَظْلِمُونَ ﴾
[البقرة: ٥٧].

⁽٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٨/ ٢٥٥.

⁽۱) جامع البيان، الطبري، ٦/ ٥٠٠.

وقوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكُفُّرُونَ كُمَا كَفَرُواْ

ويتضح مما مضى تمنى طائفة من أهل الكتاب إضلال المسلمين وردهم عند دينهم بشتى الأساليب الخبيثة والشبهات الضالة وذلك بإثارة الظنون والشكوك والأوهام حول الإسلام والتشكيك بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم، والتشويش على عقيدة المسلمين إلا أن الله تعالى أكد وبين أنهم ما

٥. منعهم من يريد الإسلام.

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم عن أهل الكتاب بأنهم يصدون المؤمنين عن سبيل الله بقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَأَهَّلَ ٱلْكِئْبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجُا وَأَنتُمْ شُهِكَدَآةً وَمَا اللَّهُ بِغَنِيلِ عَمَّا تَعْمَلُونَ الله

أي: «لم تصرفون عن دين الله من آمن وتصدونهم عن سبيل الله بإلقاء الشبهات والشكوك وذلك بإنكارهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم تبغونها عوجا، يعني: زيغا وميلا عن الحق بإلقاء الشبه في قلوب الضعفاء وأنتم شهداء أن نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته مكتوب في التوراة، وأن دين الله الذي لا يقبل غيره هو الإسلام، وقيل معناه: وأنتم

أضلوا إلا أنفسهم وما يشعرون.

[آل عمران:٩٩].

تشهدون المعجزات التي تظهر على يد

محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته، ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَنفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾، فيه وعيد

وتهديد لهم، وذلك أنهم كانوا يجتهدون

ويحتالون بإلقاء الشبهة في قلوب الناس

ليصدوهم عن سبيل الله والتصديق بمحمد

صلى الله عليه وسلم فلذلك قال الله تعالى:

قال قتادة: «لم تصدون عن الإسلام وعن

نبى الله من آمن بالله، وأنتم شهداء فيما تقرؤون من كتاب الله: أن محمدًا رسول

الله وأن الإسلام دين الله الذي لا يقبل غيره

ولا يجزي إلا به، تجدونه مكتوبًا عندكم في

يقول الزمخشرى: «كانوا يفتنون

المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه، ويمنعون

من أراد الدخول فيه بجهدهم، وقيل: أتت

اليهود الأوس والخزرج فذكروهم ما كان

بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب

ليعودوا لمثله ﴿ تَبْغُونَهَا عِوْجًا ﴾ تطلبون لها

اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة،

فإن قلت: كيف تبغونها عوجا وهو محال؟

قلت: فيه معنيان: أحدهما أنكم تلبسون على

الناس حتى توهموهم أن فيها عوجا بقولكم:

إن شريعة موسى لا تنسخ، وبتغييركم صفة

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَنفِلِ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

التوراة والإنجيل^(٣).



(١) المصدر السابق.

فَتَكُونُونَ سَوَآء ﴾ [النساء: ٨٩](١).

⁽٢) انظر: لباب التأويل، الخازن، ١/ ٢٧٥.

⁽٣) جامع البيان، الطبري، ٦/ ٥٧.

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك، والثاني: أنكم تتبعون أنفسكم في إخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو أقوم من كل مستقيم وأنتم شهداء أنها سبيل الله لا يصدعنها إلا ضال مضل، أو وأنتم شهداء بين أهل دينكم، عدول يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في عظائم أمورهم، وهم الأحبار»(١).

ويتضح من الآية الكريمة أن من صفات بعض أهل الكتاب الذين كفروا بالإسلام محاولة صد المسلمين عن دينهم وإقناعهم بالرجوع والإرتدادعن الإيمان بشتى الطرق وذلك بإلقاء الشبهات والشكوك، وتكذيبهم بالنبى صلى الله عليه وسلم وإنكارهم ثبوت صفته في كتبهم، وإثارة الفتن والعداوات وإشاعة الفرقة والإختلاف والحروب بين المسلمين حتى ينالوا من دين الإسلام، ويبغون الدين عوجا برغم أنهم شهداء على أن ما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق، لذلك وبخ الله تعالى المعاندين منهم بسبب كفرهم وصدهم الناس عن سبيل الله وذكرهم بقوله: ﴿ وَمَا الله بِغَنفِل عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

٦. التشكيك في قبلة المسلمين.

اقتضت حكمة الله تعالى تولية المسلمين وجوههم وتحويل قبلتهم من بيت المقدس

إلى المسجد الحرام، واستجاب المسلمون لأمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فاتجهوا جميعا نحو قبلتهم الجديدة، إلا أن هذا الأمر لم يرض السفهاء من الناس ومنهم أهل الكتاب من اليهود والنصاري في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ سَيَعُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبْلَنِهِمُ الَّتِي كَانُواْعَلَيْهَا فَل لِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ البقرة: ١٤٢].

قال ابن كثير: «ولما وقع هذا حصل لبعض الناس من أهل النفاق والريب والكفرة من اليهود ارتياب وزيغ عن الهدى وتخبيط وشك، وقالوا: ﴿مَا وَلَّـٰهُمْ عَن قِبْلَهُمُ ٱلِّيكَافُوٰاعَلَيْهَا ﴾ أي: ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا، وتارة يستقبلون كذا؟ فأنزل الله جوابهم فى قوله: ﴿ قُلُ لِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾ أي: الحكم والتصرف والأمر كله لله، وحيثما تُولُوا فَثُم وَجِهِ اللَّهِ، وَ﴿ ﴿ لَّيْسَ ٱلْهِرَّأَنَّ تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلِكِنَّ ٱلْبَرِّ مَنْ ءَامَنَ بِأُلَّهِ ﴾ [البقرة:١٧٧].

أي: الشأن كله في امتثال أوامر الله، فحيثما وجهنا توجهنا، فالطاعة في امتثال أمره، ولو وجهنا في كل يوم مرات إلى جهات متعددة، فنحن عبيده وفي تصريفه وخدامه، حيثما وجهنا توجهنا، وهو تعالى له بعيده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه وأمته عناية عظيمة؛ إذ هداهم إلى قبلة

⁽۱) الكشاف، الزمخشري، ۱/ ۳۹۲.

إبراهيم خليل الرحمن، وجعل توجههم إلى الكعبة المبنية على اسمه تعالى وحده لا شريك له، أشرف بيوت الله في الأرض، إذ هي بناء إبراهيم الخليل، عليه السلام، ولهذا قال: ﴿ قُل يَلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَالُهُ إِلَى صِرَطِ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١).

ومع علم أهل الكتاب من النصارى أن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة حق وأنها قبلة إبراهيم عليه السلام، لكنهم يعاندون ويتبعون هواهم ويطالبون رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلامة على تصديق ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِنْبَ لَيَعْلَمُونَ ٱنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِهِمْ ﴾: «يعني: أن القبلة إلى الكعبة هي الحق وهي قبلة إبراهيم عليه السلام، ﴿وَمَا ٱللهُ مِنْفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾، يعني: جحودهم القبلة إلى الكعبة فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: اثتنا بعلامة على

تصديق مقالتك وهم اليهود والنصارى، فنزل قوله تعالى: ﴿ وَلَهِنَّ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِنَابَ ﴾ وهم اليهود والنصاري بكل آية، أي: بكل علامة ما تبعوا قبلتك، أي: ما صلوا إلى قبلتك، وما أنت بتابع قبلتهم، أي بمصل إلى قبلتهم، وما بعضهم بتابع قبلة بعض، يقال: معناه كيف ترجو أن يتبعوك ويصلوا إلى قبلتك وهم لا يتبعون بعضهم بعضًا ١٤٠٠). وقوله تعالى: ﴿ وَلَهِنَّ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِنَابَ بِكُلِّءَايَةٍ ﴾: أي: برهان وحجة على أن الكعبة قبلة، والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بالحجة، وإنما خالفوك مكابرة وعنادًا، ﴿ وَمَا أَنتَ بِسَابِعِ قِبْلَئُهُمْ ﴾، قطع لأطماعهم، فإنهم قالوا: لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذي ننتظره، تعزيرًا له وطمعًا في رجوعه.

وقبلتهم وإن تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق، ﴿وَمَا بَمْضُهُم يَتَابِع قِبَلَةَ بَعْضٍ ﴾، فإن اليهود تستقبل الصخرة، والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك، لتصلب كل حزب فيما هو فيه، ﴿وَلَينِ ٱتَّبَعْتَ كُل حزب فيما هو فيه، ﴿وَلَينِ ٱتَّبَعْتَ على سبيل الفرض والتقدير، أي: ولئن على سبيل الفرض والتقدير، أي: ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّينَ ٱلظَّلْلِينِ ﴾، وأكد

⁽۲) تفسير السمرقندي، ۱/۱۰۱.

⁽١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ٤٥٤.

تهديده وبالغ فيه(١).

ويتضح مما مضى عداوة وحقد بعض النصارى وغيرهم على الإسلام ومحاولتهم زعزعة عقيدتهم بالتشكيك في قبلة المسلمين ومطالبتهم النبي صلى الله عليه وسلم بعلامة على ذلك، فيبين الله تعالى لنبيه الكريم عليه الصلاة والسلام ولو جاءهم بكل علامة ما تبعوا قبلتك، وما أنت بتابع قبلتهم، وما بعضهم بتابع قبلة بعض.

٧. الإيذاء والاستهزاء بالمؤمنين.

أخبر الله تعالى في آياته الكريمة عن إيذاء بعض أهل الكتاب للمسلمين وإستهزائهم بهم.

قال تعالى: ﴿ يَكُنُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّ

أي: أن الله حذر المؤمنين ألا يتخذوا اليهود والنصارى أولياء، ووصفهم تعالى بأنهم اتخذوا الإسلام هزوًا ولعبًا، وهم قد أوتوا الكتاب من قبلنا، يعني: التوراة والإنجيل، ونهانا عن اتخاذهم أولياء، وأخبرنا أنهم اتخذوا ديننا هزوًا ولعبًا

كما فعل أهل الكتاب، ومعنى اتخاذهم ديننا هزوًا ولعبًا: هو إيمانهم ثم كفرهم وإظهارهم خلاف ما يبطنون أخبر الله عنهم أنهم: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَا وَإِذَا خَلُوا إِلَى شَيَطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا غَنُ مُستَهْزِءُونَ ﴿ وَإِذَا لَلْهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الل

وقوله: ﴿وَاَتَّقُوا الله ﴾، أي: اتقوه في التخاذهم أولياء، ﴿إِن كُنُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي: مصدقين بالله (٢٠).

لما حكى في الآية الأولى عنهم أنهم اتخذوا دين المسلمين هزوا ولعبا ذكر ههنا بعض ما يتخذونه من هذا الدين هزوا ولعبا فقال: وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا قيل: كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المؤذن بالمدينة يقول: أشهد أن محمدًا رسول الله يقول: أحرق الكاذب. فدخلت خادمته بنار ذات ليلة فتطايرت منها شرارة في البيت، فاحترق البيت واحترق هو وأهله.

وقيل: كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي للصلاة وقام المسلمون إليها، فقالت اليهود: قاموا لا قاموا، صلوا لا صلوا على طريق الاستهزاء، فنزلت الآية. وقيل: كان المنافقون يتضاحكون عند

القيام إلى الصلاة تنفيرا للناس عنها. وقيل: قالوا يا محمد لقد أبدعت شيئًا لم

⁽٢) الهداية إلى بلوغ النهاية، ٣/ ١٧٨٩.

⁽١) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، ١١٢/١.

يسمع فيما مضى، فإن كنت نبيا فقد خالفت فيما أحدثت جميع الأنبياء، فمن أين لك صياح كصياح العير، فأنزل الله هذه الآية(١).

ثم يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: «قل يا محمد لأهل الكتاب من اليهود والنصارى: يا أهل الكتاب، هل تكرهون منا أو تجدون علينا في شيء إذ تستهزؤون بديننا، وإذ أنتم إذا نادينا إلى الصلاة اتخذتم نداءنا ذلك هزوًا ولعبا ﴿ إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ ﴾ يقول: إلا أن صدقنا وأقررنا بالله فوحدناه، وبما أنزل إلينا من عند الله من الكتاب، وما أنزل إلى أنبياء الله من الكتب من قبل كتابنا، ﴿ وَأَنَّ أَكْثَرُكُونَ فَسِقُونَ ﴾ يقول: وإلا أن أكثركم مخالفون أمر الله، خارجون عن طاعته، تكذبون عليه»(۲).

ويتضح مما تقدم عداوة بعض أهل الكتاب من النصارى لدين الإسلام ومحاولتهم المستمرة في تمزيقه بشتي الأساليب والطرق للنيل منه ومن أتباعه قديمًا وحديثًا وذلك بالإيذاء والإستهزاء والكذب مع علمهم المسبق بما يجدونه في كتبهم بأن الإسلام هو دين الحق، ومع ذلك فهم مصرون على العند والكبر.

[انظر: أهل الكتاب: موقف أهل الكتاب من المسلمين]

(۱) انظر: مفاتیح الغیب، الرازي، ۱۲/ ۳۸۸.(۲) جامع البیان، الطبري، ۱۰/ ۴۳۳.

ثالثًا: تحذير القرآن المسلمين من النصاري:

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة متنوعة في تحذير المسلمين وتنبيهم من الوقوع في أخطاء الأمم السابقة من النصاري وغيرهم منها ما يأتي:

١. التحذير من التشبه بهم في أحوالهم وأقوالهم.

قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَعُولُوا رَعِنَا وَقُولُوا انظُرْيَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَ عَرِينَ عَدَابُ أَلِيدٌ ١٠٠٠ [البقرة:٤٠٤].

وفي الآية دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد عن التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم، ولباسهم وأعيادهم، وعباداتهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولا نقرر عليها^(٣).

٢. يحذر تعالى عباده المؤمنين عن طاعة طائفة من الذين أوتوا الكتاب.

الذين يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله، وما منحهم به من إرسال رسوله ويتمنوا أن يكونوا كافرين، كما قال تعالى: ﴿ يَنَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَنُوۤ ا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُونَّوا ٱلْكِنْبَ يُرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَنِيكُمْ كَفرِينَ 💮 🍎 [آل عمران:۱۰۰].

⁽٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، . TV & /1

أي: «حذر الله تعالى المؤمنين من إغواء الكفار وإضلالهم وناداهم بوصف الإيمان تنبيها على تباين ما بينهم وبين الكفار، ولم يأت بلفظ: «قل» ليكون ذلك خطابا منه تعالى لهم وتأنيسا لهم، وأبرز نهيه عن موافقتهم وطواعيتهم في صورة شرطية، لأنه لم تقع طاعتهم لهم» (١٠).

قال قتادة رحمه الله: «قد تقدم الله إليكم فيهم كما تسمعون وحذركم وأنبأكم بضلالتهم، فلا تأتمنوهم على دينكم، ولا تنتصحوهم على أنفسكم، فإنهم الأعداء الحسدة الضلال، كيف تأتمنون قومًا كفروا بكتابهم، وقتلوا رسلهم، وتحيروا في دينهم، وعجزوا عن أنفسهم؟! أولئك والله هم أهل التهمة والعداوة (٢).

 عدم الوقوع بما وقع فيه النصارى من الاختلاف والفرقة في دينهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْبَيْنَئُ وَأُولَتِيكَ لَمُمَّ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ ﴿ ﴾ [آل عمران:١٠٥].

أي:ينهى هذه الأمة أن تكون كالأمم الماضية في تفرقهم واختلافهم، وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم (٣).

والدعوة إلى الوحدة ونبذ الاختلاف

- (١) انظر: البحر المحيط، ٣/ ٢٨١.
- (٢) انظر: جامع البيان، الطبري، ٦٠/٦.
- (٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/ ٩١.

والاعتصام بحبل الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿ وَاَعْتَصِمُوا بِحَبِلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاَذْكُرُوا بِمَمْتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْكُنتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّكُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصَّبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ الْحَوْلَا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةِ مِن النّارِ فَأَنقَذَكُم مِنها لَكُمْ مَا يُنتِهِ لَعَلَكُونَ النّاكُمُ مَا يُنتِهِ لَعَلَكُونَ النّادُونَ النّا ﴿ اللّهِ اللّهُ لَكُمْ مَا يُنتِهِ لَعَلَكُونَ النّاكُمُ مَا يُنتِهِ لَعَلَكُونَ النّاكُ وَاللّهُ اللّهُ لَكُمْ مَا يَنتِهِ لَعَلَكُونَ النّاكُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ لَكُمْ مَا يَنتِهِ لَعَلَكُونَ النّادُونَ النّالُهُ اللّهُ عَمِيلًا وَاللّهُ عَمْلُونَ النّالُهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ الللللللّهُ اللللللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللّه

قال ابن عباس: «أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في الدين (٤٠٠).

٤. التحذير من كتمان الحق مع العلم به وعدم تبينه للناس.

فإن هذا من صفات النصارى، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ آخَذَ ٱللّهُ مِيثَنَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَبَ لَتُبَيّنُنَهُ لِلنّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَدُوهُ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَدُوهُ وَزَاءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوا بِهِ ثَمْنَا قَلِيلًا فَيِشَ مَا يَشْتَرُونَ لِهِ ثَمْنَا قَلِيلًا فَيِشَ مَا يَشْتَرُونَ لِهِ إِلَى عمران:١٨٧].

أي: أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب يعني: اليهود والنصارى، والمراد منهم: العلماء خاصة، وقيل المراد بالذين أوتوا الكتاب: العلماء والأحبار من اليهود خاصة وأخذ الميثاق هو التوكيد والإلزام لبيان ما أوتوه من الكتاب وهو قوله تعالى: ﴿لَنَّايِتُنَّهُ وَلَا اللهَ وَلَمْ اللهُ أُوجِبُ لَلنَّاسِ ، يعني: لتبينن ما في الكتاب ولتظهرنه للناس حتى يعلموه وذلك أن الله أوجب

⁽٤) لباب التأويل، الخازن، ١/٢٨٢.

على علماء التوراة والإنجيل أن يشرحوا للناس ما في هذين الكتابين من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولا تخفون ذلك عن الناس فَنَسَبُدُوهُ في يعني: الكتاب، وقيل: الميثاق ورركاء ظهورهم أي: فطرحوه وشرعوه وتركوا العمل به وراشتروا إيم مايشترون في ذمهم الله تعالى على فعلهم ذلك (١).

وظاهر هذه الآيات وإن كان مخصوصا بعلماء أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فلا يبعد أن يدخل فيه علماء هذه الأمة الإسلامية لأنهم أهل كتاب وهو القرآن وهو أشرف الكتب(٢).

٥. حذر القرآن الكريم في بعض آياته
 الكريمة المسلمين من موالاة أهل
 الكتاب من النصارى.

قال تعالى: ﴿ يَالَيُهَا ٱلَّذِينَ مَامَنُوا لَا لَتَغِذُوا اللَّهُ وَاللَّهُ بَعْضِ وَمَن يَتَوَلَّكُم الْيَهُودَ وَالنَّمَا لَا يَتَعِنُ وَمَن يَتَوَلَّكُم الْيَهُودَ وَالنَّمَا لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّلِيدِينَ مِنهُمُ إِنَّ اللّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّلِيدِينَ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ ال

أي: «لا تعتمدوا على الاستنصار بهم، ولا تتوددوا إليهم، ولا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتؤاخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين، ثم علل النهي بقوله ﴿بَمْتُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضِ ﴾ أي: إنما يوالي بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر، فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم ومن يتولهم منكم فإنه من دينهم وحكمه حكمهم، وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله» (٣).

وورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر أبا موسى الأشعري أن يرفع إليه ما أخذ وما أعطى في أديم واحد، وكان له كاتب نصراني، فرفع إليه ذلك، فعجب عمر رضي الله عنه، وقال: إن هذا لحفيظ، هل أنت قارئ لنا كتابا في المسجد جاء من الشام؟ فقال: إنه لا يستطيع أن يدخل المسجد، فقال عمر: أجنب هو؟ قال: لا بل نصراني، قال: فانتهرني وضرب فخذي، ثم قال: أخرجوه، ثم قرأ: ﴿ يَكَأَيُّ الّذِينَ مَامَنُوا لَا لَا يَتَخِذُوا الْيَهُودَ ثَمْ قَالَ: أَوْلِياتَ الله المائدة: ١٥]

ومع أن الله تعالى ذكر في هذه الآية الكريمة: أن اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض، ولكنه بين في موضع آخر ذكرناه

⁽١) لباب التأويل، الخازن، ١/ ٣٣٠.

⁽٢) انظر: المصدر السابق.

⁽٣) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٢/ ٣٧٥.

⁽٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٣٢/٣.

فيما مضى في المبدلين دينهم وعاقبتهم من النصارى حيث أن ولاية بعضهم لبعض ليست خالصة لله تعالى، بل تقوم على أساس عداوتهم لدين الإسلام، لذلك بين أن العداوة والبغضاء بينهم باقية ومستمرة إلى يوم القيامة، بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ مَا لَوْا إِنَّا نَصَكَرُى آخَاذًا مِيثَقَهُمْ وَلَسُوا مَنْ الْمَا الْمِلْمَا الْمَا الْمِنْ الْمَا الْمِا الْمَا الْمَالِمِ الْمِلْمَا الْمَا الْمَا الْمَا الْمَا الْمَا الْمَا الْمَالِمُ الْمَا الْمَا الْمَا الْمَا الْمَا الْمَا الْمَا الْمَا الْمِا الْمَا الْمَا الْمِالْمَا الْمَا الْم

 التحذير من موالاتهم ومشابهتهم في الاستهزاء في الدين.

قال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَغِدُوا الَّذِينَ الْمَثُوا لَا نَتَغِدُوا الَّذِينَ الْغَنَدُوا فِي الْغَيْبَ مِن الَّذِينَ أُوتُوا الْكِنَبَ مِن فَيْكُمْ وَالْكُفَا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّ فَيْمِنِينَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ إِن كُنتُم مُّ فَيْمِنِينَ ﴿ اللَّهُ إِن اللَّهُ إِن اللَّهُ إِن اللَّهُ إِن اللَّهُ اللَّهُ إِن اللَّهُ إِن اللَّهُ إِن اللَّهُ إِن اللَّهُ إِن اللَّهُ إِن اللَّهُ إِنْ اللَّهُ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

مُّلْفَيْنَنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ الْمَدَّةِ الْمَدَّةِ اللَّهِ اللَّهِ الْمَدُّيِرِ مِن مشابهتهم في فعل المنكرات.

حيث ذمهم الله تعالى في قوله تعالى:

﴿ كَانُوا لَا يَــ تَنَاهَوْنَ عَن مُنكَرِ
فَعُلُوهُ لِيَقْسَ مَا كَانُوا يَفْمَلُونَ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُولِيَّا اللهُ اللهُ

أي: «لا ينهى بعضهم بعضًا عن معاودة منكر فعلوه، أو عن مثل منكر فعلوه، أو عن مثل منكر أرادوا فعله وتهيؤوا له، أو لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع، ﴿لِينَسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾، تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم»(٢).

والدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإلتزام بقوله تعالى: ﴿ وَلَتَكُن مِن المنكر أَمَّةُ يَدَعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْقَرُونِ وَيَنْمُونَ عَنِ المُنكَرُ وَأُولَئِكَ هُمُ المُقَلِحُونَ وَيَنْهَونَ عَنِ المُنكَرُ وَأُولَئِكَ هُمُ المُقَلِحُونَ الله عَمْ المُقَلِحُونَ الله عَمْ المُقَلِحُونَ الله عَمْ المُقَلِحُونَ الله عَمْ الله ع

ولا يتحقق هذا الأمر إلا بالعودة إلى الله تعالى والتزام شرعه وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وعن عائشة رضي الله عنها، أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه

⁽۱) جامع البيان، الطبرى، ١٠/ ٤٢٩.

⁽٢) أنوار التنزيل، البيضاوي، ٢/ ١٣٩.

إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة، فقال رسول الله عليه وسلم: (أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)(١). وهناك كثير من الآيات الكريمة في القرآن الكريم غير التي ذكرت تحذر المسلمين من النصارى وغيرهم وتبين صفاتهم وأخلاقهم وعداوتهم وحقدهم على الإسلام وأهله.

سماحة الإسلام مع النصاري

بعد بيان عقائد النصارى ودعاواهم الباطلة ومحاولاتهم للنيل من دين الإسلام نتطرق في هذا المبحث إلى نماذج من سماحة الإسلام في التعامل معهم، حيث إن الإسلام دين السماحة والرحمة والعفو والإحسان والعدالة والإنصاف مع المسلمين وغير المسلمين من أهل الكتاب وغيرهم، والمتأمل في القرآن الكريم يرى بوضوح كيف تعامل الإسلام مع أهل الكتاب من النصاري، وكيف أنصفهم وبين المبادئ الصحيحة لدينهم وبين منزلة عيسى عليه السلام دون غلو، فدين الإسلام لا يتنافى مع ما جاء به عيسى عليه السلام، لذا نرى أنه أعطى حقوق أهل الكتاب من النصاري وأنصفهم، وهذا ما سوف نراه من خلال استقراء بعض الآيات القرآنية كما يأتى:

العفو والصفح عنهم والصبر على أذاهم.

⁽۱) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ٤/ ١٧٥، رقم ٥٣٤٧٥ ومسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود، ٣/ ١٣١٥، رقم ١٦٨٨.



أي: «فتجاوزوا عما كان منهم من إساءة وخطأ في رأي أشاروا به عليكم في دينكم، إرادة صدكم عنه، ومحاولة ارتدادكم بعد إيمانكم، وعما سلف منهم من قيلهم لنبيكم صلى الله عليه وسلم: ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعِ وَرَعِنَا لَيًّا بِٱلْسِلَامِمْ وَطَعَنَا فِي ٱلدِينِ ﴾ والنساء: ٢٤].

واصفحوا عما كان منهم من جهل في ذلك حتى يأتي الله بأمره، فيحدث لكم من أمره فيكم ما يشاء، ويقضي فيهم ما يريد، فقضى فيهم تعالى ذكره، وأتى بأمره، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم، وللمؤمنين به: ﴿ قَائِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَلَا يُعْرِمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَلَا يُعْرِمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ، ولَلا يَدِينُونَ دِينَ النَّحِقِ مِنَ الّذِينَ أُوتُوا وَلَا يَحْرِمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ، ولَلا يَدِينُونَ دِينَ النَّحِقِ مِنَ الّذِينَ أُوتُوا النَّحِقِ مِنَ الّذِينَ أُوتُوا النَّحِقِ مِنَ الّذِينَ أُوتُوا النَّحِقِ مِنَ النَّذِينَ عَنْ يَدٍ وَهُمُ مَا حَرَّرُونَ عَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ، ولَكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، ولَكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، ولَكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ولَكُمْ اللَّهُ وَلَا يَحْرُمُ اللَّهُ وَلَا يُعْرَفُوا النَّحِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ ولَا اللَّهُ اللَّالَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

فنسخ الله جل ثناؤه العفو عنهم والصفح، بفرض قتالهم على المؤمنين، حتى تصير كلمتهم وكلمة المؤمنين واحدة، أو يؤدوا الجزية عن يد صغارا »(١).

وليس في قتالهم انتقام منهم، بل فيه ما يدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى ورسوله، واذا آمنوا بذلك نجوا من العقاب، وفازوا بعظيم الثواب؛ فيصير القتال رحمة لهم لا

٢. عدم إكراههم على الدخول في الإسلام.
 قال الله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِينِ قَد تَبَيّنَ الرُّينِ قَد تَبَيّنَ الرُّينَ لَمْ البَيْنِ قَد تَبَيّنَ الرُّشَدُمِنَ الْفَيِّ ﴾ [البقرة:٢٥٦].

ومع ذلك فأن الله تعالى دعا أهل الكتاب للإيمان والإسلام في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ مَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمُ مَّ مَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمُ مَّ مَامَنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَلِيقُونَ ﴾ يَنْهُمُ الْفَلِيقُونَ ﴾ [آل عمران ١١٠].

أي: «ولو صدق أهل التوراة والإنجيل من اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من عند الله؛ لكان خيرًا لهم عند الله في عاجل دنياهم وآجل آخرتهم»(٣).

ولا شك أن الإيمان خير لهم من الكفر. ٣. إيمان كافة المسلمين بأن عيسى رسول ونبي بعثه الله تعالى لبني إسرائيل بعد موسى عليه السلام.

عقوبة^(۲).

⁽٢) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، ٢٨١/١٠.

⁽٣) جامع البيان، الطبري، ٧/ ١٠٧.

⁽١) جامع البيان، الطبري، ٢/ ٥٠٤.

سَيِعْنَا وَأَطَعْنَا عُفْرَانَكَ رَبِّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ (البقرة: ٢٨٥].

أي: «يقولون آمنا بجميع الرسل ولا نكفر بأحد منهم ولا نفرق بينهم كما فرقت اليهود والنصاري»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: (أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علات(1)، ليس بيني وبينه نبي(1).

٤. دعوتهم إلى توحيد الله تعالى وعبادته. قال تعالى: ﴿ قُلْ يَكَأَهُلَ ٱلْكِنَابِ تَعَالُوا إِلَى كَلِمَةِ سَوَلَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُوْ أَلَّا نَصَبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا مُثْمِرُكَ بِيهِ شَكِيْكًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَادُوا بِأَنَّا مُسْلِعُونَ اللهِ [آل عمران: ٦٤].

أي: «تعالوا إلى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب، ألا نعبد إلا الله أن نوحده بالعبادة ونخلص فيها، ولا نشرك به شيئًا ولا نجعل غيره شريكًا له في استحقاق العبادة و لا نراه أهلًا لأن يعبد "(٤).

- (١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣/ ٤٢٥.
 (٢) أولاد علات: الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم
- انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٣/ ٢٩١.
- (٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأُنْبِياء، باب قول الله: (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها)، ٤/ ١٦٧، رقم
 - (٤) أنوار التنزيل، البيضاوي، ٢١/٢.

٥. تكريمهم بمناداتهم (يا أهل الكتاب). ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَكَأَهْلَ ٱلْكِنْبِ لِمَ تَكُفُرُونَ بِعَايِنتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا مَعْمَلُونَ اللَّ قُلْ يَتَأَهْلَ ٱلْكِلَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَلِيلٍ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْعُونَهَا عِوْجًا وَأَنتُمْ شُهُكَدَآةٌ وَمَا ٱللَّهُ بِغَنفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿ اللَّهِ ۗ [آلُ عمران:۹۸-۹۹].

٦. إباحة الأكل من طعامهم، والزواج من نسائهم.

قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّلِيَكَ ۗ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِنَبَ حِلٌّ لَّكُورُ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَمُمُّ وَٱلْمُحْصَنَاتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَاتِ وَٱلْمُحْصَنَاتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوثُوا ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِنَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُعْصِنِينَ غَيْرَ مُسَنفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيَ أَخْدَانٍ ا وَمَن يَكُفُرُ بِٱلْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ. وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَسِرِينَ (المائدة: ٥].

٧. حذر القرآن الكريم النصارى ونبههم من الوقوع في الكفر، ليبين لهم أنهم ليسوا على الجادة الصحيحة.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَغَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْبَيَدٌ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يُنبَيْ إِسْرَوْمِيلَ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمُّ إِنَّهُ مَن يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَلَهُ ٱلنَّارُّ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ أَنَّ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ ٱللَّهَ قَالِكُ ثُلَاثَةُ وَمَا مِنْ إِلَاهِ إِلَّا إِلَاةٌ وَنَحِدُّ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيُمَسِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ

عَذَاجُ أَلِيدُ ﴿ اللّهُ عَنْ فُورُ رَحِيتُ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ أَنْ وَاللّهُ عَنْ فُورٌ رَحِيتُ ﴿ اللّهِ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَعَدَ إِلّا رَسُولُ فَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَمْنُهُ مِيدِيقَ أَ كَانا مَن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَمْنُهُ مِيدِيقَ أَ كَانا يَأْتُكُونَ يَا الطَّعْلَ أَنْ لَكُونَ كَنْ فُكُونَ لَهُمُ الْآلِيكِ ثُم انظر أَنَّ يُؤْفَكُونَ لَهُمُ الْقَلْمُ اللّهُ مُولَا لَكُونَ اللّهُ مَا لا اللهُ مَا لا يَعْمَلُكُ لَكُمُ مَنزًا وَلا نَقْعًا وَاللّهُ هُو السّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ اللّهِ مَا لا اللّهِ مَا لا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ السّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ اللّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ ال

 ٨. ثناء القرآن الكريم على طائفة من مؤمني النصارى بأنهم أقرب الناس مودة إلى المسلمين.

والمراد به النصارى الذين أسلموا، وفي سياق الآية دليل عليه، وهو قوله تعالى:

﴿ فَأَثْبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا ﴾ (١).

 من سماحة الإسلام مع النصارى أنه رفع من شأن عيسى وأمه عليهما السلام.

حيث سمى في القرآن الكريم سورة باسم مريم عليها السلام، وذكر قصة عيسى عليه السلام كاملة دون تحريف من ولادته إلى أن رفعه الله تعالى إليه.

١٠ حسن الحوار معهم ومجادلتهم بالتي
 هى أحسن.

أي: ولا تجادلوا أيها المؤمنون بالله وبرسوله اليهود والنصارى، وهم أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن بالجميل من القول، وهو الدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حججه (٢).

١١. مضاعفة الأجر لمن آمن منهم.

قال تعالى: ﴿ اللَّذِينَ ءَانَتَنَهُمُ ٱلْكِئنَبَ مِن قَبْلِهِ مُم بِهِ يُوْمِنُونَ ۞ وَإِذَا يُنْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوّاْ ءَامَنَا بِهِ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّيِّنَا إِنَّا كُنَا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ۞ أُولَيْهَكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مّرَّنَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَهُونَ بِالْحَسَنَةِ ٱلسَّيِئَةَ وَمِمّا رَزَقْنَهُمْ مُيفِقُونَ ۞

⁽١) تفسير السمرقندي، ١/ ٤١١.

⁽٢) انظر: جامع البيان، الطبري، ٢٠/ ٤٦.

[القصص:٢٥-٤٥].

أي: «يؤتون أجرهم مرتين مرة على إيمانهم بالقرآن، إيمانهم بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن، بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الإيمانين، أو على الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده، أو على أذى المشركين ومن هاجرهم من أهل دينهم، ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعون بالطاعة المعصية»(١).

١٢. شهد القرآن الكريم بانتصار الروم الزَّابِ ﴾ [محمد:٤]. على الفرس، وهو نصر لله تعالى أي: يعطوا الخ باعتبار أن النصارى هم أهل كتاب يبذلونه للمسلمين خلاقًا للمجوس الوثنيين.

قال تعالى: ﴿ غُلِيَتِ الرُّومُ ۞ فِ آذَنَ الأَرْضِ وَهُم مِنْ بَعْدِ غَلِيهِمْ سَيَغْلِبُوكِ الْأَرْضِ وَهُم مِنْ بَعْدِ غَلَيْهِمْ سَيَغْلِبُوكِ ۞ ﴿ فِي اللّهِ الْأَمْدُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمِهِ لِهِ يَفْسَحُ الْمُؤْمِنُوكِ ۞ مِنْ بَعْدُ وَيُومِهِ لِهِ يَفْسَحُ الْمُؤْمِنُوكِ ۞ مِنْ اللّهُ يَعْمُرُ مَن يَشَكَأُهُ وَهُو الْعَكِيْدُ الْمَكِيْدُ اللّهَ يَعْمُرُ مَن يَشَكَأُهُ وَهُو الْعَكِيْدُ اللّهَ يَعْمُرُ مَن يَشَكَأُهُ وَهُو الْعَكِيْدُ اللّهَ الرّحِيمُ ۞ ﴿ الروم: ٢-٥].

قال أبو حيان الأندلسي: «وحين غلب الروم فارس سر رسول الله صلى الله عليه وسلم لغلبة أهل الكتاب لأهل عبادة النار، ولإهلاك العدو الأكبر بالعدو الأصغر إذ كان مخوفا على أهل الإسلام»(٢).

١٣. حقن وصيانة دمائهم، وذلك بتخييرهم بين الإسلام أو الجزية.

قال تعالى: ﴿ قَنْ لِلْوَا اللَّذِيكَ لَا يُوْمِنُوكَ

إِللَّهِ وَلَا بِالْيُوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحْرِّمُونَ مَا حَكَرَّمُ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ اللَّذِيكَ
أُوثُواْ الْحِرِّيَةَ عَن يَدِ
وَمُمَّ مَنْ غِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩].

بخلاف الكافرين والمشركين حيث أبيحت دماؤهم.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرَّبَ الرِّقَابِ ﴾ [محمد: ٤].

أي: يعطوا الخراج عن رقابهم، الذي يبذلونه للمسلمين دفعًا عنها^(٣)، وهذا في حالة عدم إسلامهم، أما إذا أسلموا فلا جزية عليهم فحالهم حال المسلمين.

 ١٤. وصف قلوب المؤمنين منهم بالرأفة والرحمة.

قال تعالى: ﴿وَقَفَيْنَا بِعِيسَى أَبْنِ مَرْبِكُمُ وَءَانَيْنَكُ ٱلْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱبْتَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ [الحديد:٢٧].

أي: الحواريون الذين اتبعوا عيسى على منهاجه وشريعته فيهم مودة للإسلام وأهله، وما ذاك إلا لما في قلوبهم، إذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرأفة، وهو أشد الرحمة فكان يواد بعضهم بعضا، وقيل: هذا إشارة إلى أنهم أمروا في الإنجيل بالصلح وترك إيذاء الناس وألان الله قلوبهم لذلك، بخلاف اليهود الذين قست قلوبهم وحرفوا

⁽١) أنوار التنزيل، البيضاوي، ٤/ ١٨١.

⁽٢) البحر المحيط، ٢/ ٣٤٣.

⁽٣) جامع البيان، الطبري، ١٩٩/١٤.

الكلم عن مواضعه (١).

١٥. عدالته مع النصاري.

قال الله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَ نَكُو اللّهُ عَنِ اللّهِ لَهُ اللّهُ عَنِ اللّهِ لَمَ لَمُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّ

أي: لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين، كالنساء والضعفة منهم أن تبروهم وتحسنوا إليهم وتقسطوا إليهم، أي: تعدلوا إن الله يحب المقسطين (٢).

قال الزمخشري: «لا ينهاكم عن مبره هؤلاء، وإنما ينهاكم عن تولي هؤلاء، وهذا أيضا رحمة لهم لتشددهم وجدهم في العداوة متقدمة لرحمته بتيسير إسلام قومهم، حيث رخص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين وإخراجهم من ديارهم»(٣).

والمتأمل في القرآن الكريم يجد الآيات العديدة والمتنوعة في بيان سماحة الإسلام مع النصارى وغيرهم، وأن هذا التسامح هو جوهر تعاليم الإسلام التي جاءت لتحفظ كرامة الإنسان وحقوقه حتى وإن كان من

غير المسلمين.

ويؤكد النبي صلى الله عليه وسلم على تلك السماحة حين تعامل مع النصارى بغاية التسامح عندما كتب لأهل نجران في عقد الصلح: (ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وبيعهم وصلواتهم، لا يغيروا أسقفا عن أسقفيته، ولا راهبا عن رهبانيته، ولا واقفا عن وقفانيته، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وليس ربا ولا دم جاهلية، ومن سأل منهم حقا فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين لنجران، ومن أكل ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة ولا يؤاخذ أحد منهم بظلم آخر وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة النبي أبدا حتى يأتي الله بأمره إن نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم)(٤).

موضوعات ذات صلة:

الإنجيل، أهل الكتاب، عيسى عليه السلام، مريم، اليهود

⁽٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ١/ ٢٢٠.

⁽۱) انظر: جامع البيان، الطبري، ٢٠٢/٢٣، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٩/٣،٢، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/١٦٧.

⁽٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/ ٩٠.

⁽٣) الكشاف، الزمخشري، ١٦/٤.